المقدمة	واجبات الرجل والمرأة وحقوقهما	الوفاء
كل ذرات العالم مسؤولة	العوامل المهمة في نظام الإسرة	عدم التشدد
التوازن الأخلاقي	المحبة والإيثار	تربية الأطفال
الاختلاف بين خلقتي الرجل والمرأة رحمة	أهمية الزواج في الإسلام	أثر الغذاء في شخصية الطفل
الموعظة	نعمة الوجود الأسري وآثاره	الفطرة
حكم ومواعظ القرآن الكريم والروايات	المحيط الأسري مكان للتربية والبناء	آثار النية في تكوين شخصية الأبناء
	حسن السلوك	قوانين التربية الإسلامية

الموضوع

المقدمة
كل ذرات العالم مسؤولة
التوازن الأخلاقي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد والشكر له ــ تبارك وتعالى ــ والصلاة والسلام على رسول الله وعلى الأئمة الهادين المنتجبين والسلام على الأجساد الطاهرة من شهداء الإسلام.

الكتاب الذي بين يديك هو حاصل ١٩ درساً من دروس الأخلاق التي أتحفنا بها حجة الإسلام والمسلمين الأستاذ المظاهري، وقد بثت بأشرطة أذاعها مركز الدراسات والتحقيقات، ثمّ جمعية الكتاب والمصححين.

وأخيراً وبعد عرضها على الأستاذ المذكور أخذت طريقها إلى الطباعة.

في هذه الدروس، طرح الأستاذ المظاهري مواضيع مهمة وأساسية لـــ"أخلاق الأسرة في الإسلام" طرحاً مكثفاً ومجملاً، مع الأخذ بنظر الاعتبار طريقة العرض للآيات الشريفة والروايات المسندة علاوة على القصص التعليمية المفيدة التي سردها سرداً جميلاً.

ستقرأ في هذا الكتاب موضوعات طريفة من قبيل حكمة الاختلاف بين الرجل والمرأة، الحقوق المتقابلة للرجل والمرأة والأولاد، أثر العاطفة والمحبة في تثبت النظام الأُسري وما يتبع ذلك في تربية الأطفال، صفات المرأة اللائقة بنظر القرآن وأحاديث المعصومين (ع)، طريقة إبداء النصح للمرأة، كيفية حل الخلافات الأسرية، أسباب الخلافات، أهمية الزواج في الشرع الإسلامي المقدس، تقبل الأولاد لما يطرحه الأبوان، عدم التشدد في الأمور المادية والمعنوية في المحيط الأسري، عفو الرجل عن المرأة وعفوها عنه، تربية الأطفال، العوامل المادية والمعنوية المستقبلية وشخصية الأولاد ومواضيع مفيدة أخرى.

لقد راعى الأستاذ المظاهري ــ على عادته ــ في هذه الدروس الاختصار والإجمال، لذا يمكن للإخوة والأخوات الأعزاء ومن أجل كسب معلومات أكثر دقة خصوصاً في "تربية الطفل" مراجعة الكتب التالية:

١ ــ "الطفل بين الوراثة والتربية مجلد ٢، تأليف الأستاذ محمد تقي فلسفي".

٢ ــ "تكوين الأسرة" (تشكيل خانواده) تأليف السيد جواد مصطفوي (نشر الروضة الرضوية المقدسة).

٣ ــ "روضة الأسرة" (بهشت خانواده) تأليف الأستاذ إبراهيم الأميني (نشر إسلامية) ــ (انتشارات إسلامي).

٤ ــ قانون الزواج (آيين همسر داري) تأليف الأستاذ إبراهيم الأميني (انتشارات إسلامي) (نشر إسلامية).

٥ ــ قانون التربية (آيين تربيت) تاليف الأستاذ إبراهيم الأميني (نشر إسلامية) (انتشارات إسلامي).

٦ ــ (الأسرة وقضايا الناشئين والشباب) (خانواده ومسائل نوجوان وجوان) تأليف الأستاذ علي القائمي) (انتشارات شفق).

كل ذرات العالم مسؤولة

إذا نظرنا بعين البصيرة لهذا العالم وتفكرنا، وجدنا كل الأشياء المادية وسواها مسؤولةً، وما من شيء لا ينوء بتكليف.

وعلى سبيل المثال أن "الالكترون" يجب أن يدور حول "البروتون" على وفق نظام معين، وسرعة قياسية.

وكذا الأرض ودورانها حول الشمس بكيفية وكمية خاصتين تتمان بنظام وسرعة معينين ثابتين مهمتها كما جاء في إثبات ذلك لـــ(١٦٠) نوع مسؤولية حركية.

وقد عرفت الشمس إلى عدة سنوات مضت بسكونها ولكن تبين بعد ذلك أنها تلاحق نجمة تعرف باسم (النسرِ الواقع Vega) تتجه باتجاه غير معلوم. وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى: **(والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) سورة يس، الآية: ٣٨.**

إن حركة الشمس المطردة السرعة بقدر لم يمكن علم الميزان من قياس سرعتها، إذ تقطع في كل ساعة عدة ملايين من الفراسخ وإن كرة هذه المنظومة ومن جملتها الأرض تتسارع في

حركتها من بداية غير معلومة. ويمكن اعتبار هذه النماذج وبالأحرى كل النماذج الأخرى ظواهر لعالم الكائنات ولو قدر للكائنات ترك تكاليفها التي حددت لها والتنصل من مسؤولياتها الملقاة على عاتقها لحظة لاضطربت الأنظمة الدقيقة وباد الكثير من الموجودات.

وكذا الوضع في عالم المجردات، يعني كل ملكٍ من الملائكة له تكليف ومسؤولية خاصة يتحملها هو لوحده وفي حركة العالم المادي أو العبادي تتجلى مسؤولية الخالق سبحانه وتعالى التي اختص بها سبحانه. ولو قدر أن يتخلى المولى عن بعض مسؤولياته ــ والعياذ بالله ــ لانجر الوجود إلى الفناء. وكذلك جبريل (ع) في ليلة المعراج ومسألة العروج بالرسول الأكرم (ص) وصل بمكان لم يتمكن بعده من التقدم خطوة واحدة. حينها قال له الرسول الأكرم (ص) تقدم يا جبرائيل خطوة أخرى باتجاهي ولكنه امتنع وقال (ع) ليس لي إلى ذلك من سبيل ولو دنوت أنملةً لاحترقت.

أبسط جناحك الجليل يا أحمد (ص)

وليبق إلى الأبد مندهشاً جبرئيل

فقد عبر أحمد (ص) من مرصده الذي هو السدرة

وتجاوز حد مقام جبرئيل

حينها قال له اقفز صوبي

فأجابه: فأنا لست نداً لك

فقال له: أخرج من حدك هذا خطوةً صوبي

فأجابه: لو رفّ جنح لي لاحترقت(١).

الإنسان مختار في تكاليفه

على هذا الأساس، فإن كل الذرات الكونية تتحمل مسؤولية خاصة، وبديهي أن الإنسان يتحمل مسؤولية عظمى على عاتقه لأنه يعتبر الغاية من عالم المخلوقات.

تختلف مسؤولية الإنسان عن مسؤوليات الموجودات من جماد ونبات وحيوان وأفلاك وغيرها، حتى الموجودات المجردة من مثل الملائكة، فالإنسان يفعل فعله مختاراً، وسواه من المخلوقات مجبر على ذلك. وقد نص التنزيل الحكيم على اختيار الإنسان بقوله تعالى: **(إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) سورة الإنسان، الآية: ٣.**

يتحمل الإنسان نوعين من المسؤولية

١ ــ المسؤولية العبادية: وهي المسؤولية التي لا تتعدى حدود الخالق والمخلوق لا غير. وإذا قصّر الإنسان في إنجاز المهمات المكلف بها تجاه الخالق حينذاك سوف يعتبر خارجاً من محدودية العبودية.

٢ ــ المسؤولية الفردية وتقسم على قسمين:

أ ــ التكليف الذي يتعلق بجسم الإنسان الذي هو بعده الحيواني. ولما كان عليه أن يسمو إلى عالم الملكوت الرفيع على المادة كان لابد له من اتخاذ مواقف حاسمة إزاء جوارحه ابتغاء تطهيرها وتيسير الارتفاع بها.

ولو توانى عن ذلك لاضطرب سيره المعنوي في مدارج الكمال، لذا وجب على الإنسان أن يكون حذراً من جسده وميوله الهابطة.

ب ــ التكليف الإنساني المتعلق بالبعد المعنوي والروحي له. وهو تكليف خطير لأنه متعلق بروح الإنسان الذي هو جوهر ومعنى إنسانيته فإذا لم يهذب الروح يزك بالعبادة الواعية والطاعة الحية والإخلاص المعطاء، فإنه يسقط فريسة لرغبات الجسد الهابطة التي تنحدر به في مهاوي الشرور المظلمة، وينطبق عليه قوله تعالى: **(إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) سورة الأنفال، الآية: ٢٢.**

والظلمة والجناة وكل المفسدين في الأرض نماذج لموت الروح وانحدارها من وهج الرفعة إلى دياجي الضعة.

٣ ــ المسؤولية الاجتماعية: منشؤها الطبيعة الاجتماعية للإنسان التي تصبح صفة ملاصقة له وعلى مرور الزمن. فعدم التفاعل مع المجتمع الإنساني يعرقل عليه بلوغ المراحل الابتدائية للكمال. وقد تطرق الإسلام إلى هذه المسؤولية، فأشار إليها على لسان الرسول الأكرم (ص) قائلاً: "لا رهبانية في الإسلام"(٢).

ويمكن تقسيم المسؤوليات الاجتماعية على قسمين:

أ ــ الوظائف التي ترتبط بالأسرة، وكيفية إدارتها.

ب ــ الوظائف العامة المرتبطة بالعلاقات البشرية ويتجلى القصور في أدائها عند هبوط الروح أو فتورها. وإذا لم يتدارك الإنسان حاله يتعاظم عليه الأمر، وينحسر عن سلم الكمال.

المسؤولية الأسرية

تعد هذه المسؤولية أكبر المسؤوليات، لما لها من أبعاد متشعبة يجب الانتباه إليها بدقة، وذلك بتحكيم الموازين الإلهية والسنة النبوية وسنة الأئمة الهداة(ع).

وفي صدر الإسلام نزلت آية تتحدث عن عذاب جهنم كانت السبب في خروج عدة من الشباب إلى الصحاري تاركين الحياة خلفهم خوفاً من أن ينزلقوا في متاهات يمكن أن تؤدي بهم إلى نار جهنم وعذابها. فقد أخذ أحدهم على نفسه أن لا يضاجع زوجته بعد نزول هذه الآية المباركة، وأن لا يحادث النساء ويتصل بهن مادام حياً، وعاهد آخر نفسه أن لا يخالط الناس واباح لنفسه الخروج على السمؤوليات الاجتماعية بينما صمم الثالث على ان لا يدخل جوفه طعاماً لذيذاً أبداً.

فذهبت زوجات هؤلاء الثلاثة إلى رسول الله (ص) وشرحن له أحوالهن الزوجية، فتأثر الرسول (ص) حال سماعه لهن وأسرع إلى المسجد وكان مغضباً حتى إنه لم يعبأ بوضع عباءته على كتفيه فقد كان أحد طرفيها يلامس الأرض، فيثير خلفه الغبار. وحين استقر به الأمر في المسجد قال (ص): "أنا نبيكم، ولي زوجة هي في بيتي، أتناول الطعام واحفظ الجسد مني، اجتمع إلى الناس، وعلى صلة دائمة بهم. بعدها قال: فمن رغب عن سنتي فليس مني"(٣).

كذلك أشار القرآن الكريم لمثل ذلك حين قال جل وعلا:

(وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) سورة النور، الآية: ٣٢.

تعلمنا هذه الآية الشريفة كيف يجب أن نعمل حين الشعور بالفقر وأن لا يكون الفقر طريقاً للابتعاد عن سنة رسول الله (ص) وبالخصوص الابتعاد عن الزواج وتشكيل الأسرة.

أجل، إن مسؤولية تشكيل الأسرة مسؤولية كبرى وخطيرة، لما تتميز به من خصوصية بشأن الزوجة وتربية الأولاد علاوة على التكاليف الملقاة على عاتق كل ركن من أركان الأسرة. إن التكاليف هذه هي الأساس الوحيد لحفظ سلامة الأسرة وألفتها ومحبتها على طريق التسامي والقيم.

(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) سورة التحريم، الآية: ٦.

كذلك: **(قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين) سورة الزمر، الآية: ١٥.**

هنا ومن خلال الحديث عن كيفية السلوك الأُسري في مقام الزوجية بشكل مفصل سوف نتناول وظائف الزوجة ووظائف الرجل وتكاليفه قبال زوجته، وأولاده ووالديه وبيته بشكل عام. كذلك سنتطرق إلى كيفية الحفاظ على مركزية الأسرة وطريقة الابقاء على الاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة الواحدة، والابتعاد عن كل ما يكدر صفوها، والاستمرار في البحث عن الوسائل التي من شأنها أن ترفع الأسرة وتنأى بها عن الأسباب التي قد تخرجها من الوضع الطبيعي إلى وضع يبعث على الكسل والخمول والتواني في إنجاز ما يجب أن يقوم به كل فرد من أفرادها. وبلوغها هذا الوضع يجرها إلى التفكك الذي يستتبع انهيار الجماعة وإخفاقها في بناء الحياة السعيدة.

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)(٤).

التوازن الأخلاقي

كثيرة هي المسؤوليات الأسرية، وإنجازها يوقعنا كثيراً من الأحيان في بعض المشاكل، فإدارة المنزل والتوازن الأخلاقي مسألة ضرورية، والحدة الخلقية والتعصب في تقبل الواقع المعاش يتسبب في إيجاد العقد النفسية التي منها الكآبة وعدم الرغبة في المشاركة بإدارة الأمور المنزلية وممارسة الأعمال التي تبعث على تخريب مركزية الأسرة.

إن إدارة أمور المنزل يجب أن تمارس ممارسة ترعى الاعتدال والتفكير الاجتماعي العام، وتقسيم العاطفة بين الأفراد على السواء.

ويتأتى ذلك من اكتساب المعلومات التي يمكن أن نسميها سياسة الأسرة.

الرجل أو رب الأسرة يجب أن ينتهج الطرق والأساليب الصحيحة ويدبر شؤون المنزل بموازنة أخلاقية تتيح له إقامة ما يسمى الحكومة المنزلية بعيداً عن الظلم والاستبداد.

وبهذا السلوك فقط سوف يحفظ على الأسرة أمنها واطمئنانها.

إن هذه الممارسة الحكيمة الحسنة مهمة جداً في إيجاد الترابط المعنوي بين أفراد الأسرة ليتعاطفوا ويتراشدوا.

ولقد طرق القرآن المجيد سمع الإنسان بدقة عارضاً بيان هذه المسؤولية ليسلك بالإنسان طريقاً على جادة إنجاز هذه الوظيفة فقال سبحانه وتعالى في كتابه: **(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) سورة التحريم، الآية: ٦.**

إن المسؤولية الأسرية هي إحدى الوظائف الاجتماعية، وحين يربي الإنسان نفسه ويرتقي بها عما يحطها من مراتب الكمال، فإنه يشارك في تربية أسرته والارتقاء بها في مدارج الاستقامة والطمأنينة.

الرجل قيم على المرأة

لقد أشار المولى كثيراً إلى القوانين التي تحدد سياسة المنزل ومن إشارته المباركة الآية الشريفة: **(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) سورة النساء، الآية: ٣٤.**

وعلى هذا الأساس يمكن القول: على الرجل قيادة أسرته وله حق القيمومة عليها.

هذه المسؤولية الكبرى لا يمكن أن تنجز إنجازاً حسناً نافعاً بتحكيم الرجل بالقلوب فقط، ولا بتسلطه الجسماني لوحده وإخضاعه أفراد أسرته بالقوة وضده فما يجدي أحد دون الآخر.

إن شرط نجاح قيادة المنزل، هو التحكم بعواطف الأشخاص الذين يخضعون لقانون الأسرة لأسرته من غير منٍّ ولا أذى الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإحسان الرجل وطاعتها له في الحقِّ.

ولا يخفى على أحد أنّ من امتلك قلوب الناس في مكان ما وزمان ما سهلت عليه قيادتهم.

وفي هذه الحالة فإنه لا يلزم اللجوء إلى استعمال القوة وإبراز الخشونة للأفراد الذين هم في عهدته أو تحت إمرته.

إن الوسط العائلي حاله حال الأوساط الإسلامية الأخرى لا ينبغي أن يلوث بالتحكم الأهوج، أو بالممارسات التي تجر على الضرب والشم وسوء التصرف.

عقل وعاطفة الرجل والنساء

لقد تبين لنا من الآية الشريفة الآنفة الذكر أن إدارة الأسرة تقع بالكامل على كاهل الرجال لأسباب من جملتها: الوجود العقلي للرجل والعاطفي للنساء، فالأعمال التي تتطلب أعمالاً يحتويها العقل بالكامل تقع على عاتق الرجال، بينما تقع الأمور العاطفية على كاهل النساء.

فالتكاليف التي تحتاج إلى عاطفة قوية من مثل التدبير المنزلي وتربية الأولاد والتي يمكن اعتبارها التكاليف الأساسية والمهمة في حياة الأسرة تقوم بها المرأة على الأساس الفطري وطبيعة خلقتها التي تتناسب وإمكاناتها، على عكس الرجل وحسب التصنيف الفطري فإنه لا يمكن أن يمارس هكذا تكاليف بالشكل المطلوب.

وطبيعي هو عدم إمكانية قيام الرجال بالوظائف والتكاليف التي عهد بها فطرياً إلى النساء، فهو لم يخلق لممارسة التدبير المنزلي أو حضانة الأطفال أو ما إلى ذلك من ممارسات منزلية لأن أصل وجود الرجل وجود تعقلي يتناسب والأعمال الاجتماعية المعقدة.

معنى آية (الرجال قوامون على النساء)

مثل المرأة كمثل الوردة، ومثل الرجل كمثل الشجرة العظيمة الساق. ومثلما لا تطيق الوردة حرارة الشمس المحرقة ولا العواصف والرياح ولا برودة الشتاء القارص، لا تطيق المرأة جسام الأمور، ولا تستطيع النهوض إلا باليسير منها.

وبهذا يمكن التصريح بوضوح أن غياب الرجل عن المجتمع يجعله مجتمعاً ناقصاً، كما أنّ غياب المرأة يشعر بنقص ملموس فيه.

من هنا كانت إدارة المنزل أو الأسرة والأعمال الشاقة والمجهدة من نصيب الرجل باقتضاء الأمر؛ والتدبير المنزلي ضمن حصة المرأة وذلك بمقتضى الطبيعة البدنية للمرأة وهذه المسألة

لا يمكن احتسابها سبباً في أفضلية الرجل على المرأة وما قاله المولى جل وعلا في كتابه: **(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض)** سورة النساء، الآية: ٣٤.

أراد به تفضيل الرجل على المرأة من ناحية عقلية وليس تفضيله عليها من ناحية وجودية.

ولا يخفى في أن المرأة أيضاً تتفضل على الرجل من ناحية عاطفية. ولم يكن المقصود من الآية الشريفة تفضيل الرجل على المرأة مطلقاً فتعدّ هذه الآية المباركة طعناً في مقام المرأة.

الهوامش:

(١) مثنوي مولوي.
(٢) سفينة البحار ج١ ص٥٤٠.
(٣) سنن النبي للعلامة الطباطبائي، ص ١٤٧، وبحار الأنوار، ج٢٢، ص١٢٤ مع اختلاف قليل.
(٤) سورة الروم، الآية: ٢١. هذه الترجمة لا تعبر عن كلام إنسان من العامة فضلاً عن كلام عالم كبير يحدث به المجاهدين. فواعجباه حتى ينقضي العجب العجاب!!!

الموضوع

الاختلاف بين خلقتي الرجل والمرأة رحمة
الموعظة
انموذج للتعاليم الإسلامية

الاختلاف بين خلقتي الرجل والمرأة رحمة

لقد أسلفنا أن وجود الرجل تعقلي وبالنتيجة فإنه أعقل من المرأة، وذكرنا أن وجود المرأة عاطفي وبالمحصلة فإن عاطفتها تغلب على عاطفة الرجل.

هذا الفارق ليس تمييزاً وحسب بل هو معلم وآية من آيات الباري ــ جلت قدرته ــ ومنشأ السكون والمحبة والرحمة بين الرجل والمرأة.

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون).

المرأة غير ناقصة العقل

هكذا قالها المرحوم العلامة الطباطبائي، قال، إن قضية ذكر الإسلام لمسألة خلق المرأة والنقص في عقلها ملاصق لها هي قضية خطط لها الغربيون. والجدير بالإشارة إليه أنه ليس في عقل المرأة نقص، والعراقيل والاشكالات التي قد تصدر من المرأة مرجعها للتأثير العاطفي الشديد الذي تتسم به النساء على السواء مما يجعلها تفقد السيطرة على زمام الأعمال التي تتصف بالحلول العقلانية. لهذا منع الإسلام المرأة من ممارسة التكاليف التي تتسم بتحكيم العقل مجرداً عن العاطفة من مثل القضاء والجهاد والحكومة.

فالمرأة من هذه الناحية تتفاضل مع الرجل في كونها سبب السكينة والهدوء وإزاحة القلق والاضطراب، بينما الرجل وبسبب إنجازه للأعمال الاجتماعية المختلفة وإدارة المنزل يحظى بأفضليته عليها، وعليه فالرجل والمرأة وجهان لوجود واحد، إذن يجب أن يسعيا معاً فمن جهة وجود الرجل "الوجود التعقلي" وتدبيره وإدارته مالياً وتربوياً للأسرة، ومن جهة أخرى المرأة "الوجود العاطفي" التي يلزم أن تكون متواضعة ومطيعةً وأذناً صاغية قبالة الرجل "الوجود التعقلي".

صفات النساء الجديرات

(فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) سورة النساء، الآية: ٣٤.

لقد وهب الله سبحانه وتعالى المرأة الجديرة أو اللائقة صفتين:

١ ــ التواضع والطاعة

إن من صفات المرأة اللائقة هو الالتزام بتنفيذ أوامر الزوج والتواضع له وعدم ملاسنته أو الرد عليه وترك المسائل أو القضايا التي تجر إلى المخاتلة، وعدم مخالفتها لما فطرها الله عليه.

المرأة المسلمة حقاً هي المطيعة المصغية لأوامر زوجها ونواهيه، فهو رب الأسرة الذي له أن يدير شؤونها، لكن من غير امتهان وتسلط.

٢ ــ حق الرجل على زوجته

للزوج أن يأمر زوجته، ولكن ليس في مجال تنظيف الملابس أو تهيئة الغذاء وشبههما، لأنه ليس للرجل حق في هذه الأمور فحقه الاستمتاع فقط.

ومع أنه ليس للزوج حق في إصدار أوامره لزوجته في تهيئة الغذاء أو كي الملابس أو مناولته قدح ماء، فإنّ على الزوجة أن تطهو الطعام وتهيئ اللباس النظيف والجو الحياتي اللازم لمعيشة هادئة، ذلك ما تقتضيه المحبة الصادقة والذوق السليم من الزوجة الصالحة(١).

وليس الأمر مرتبطاً بما للرجل على المرأة من حقّ شرعيّ يجب أن تنفذه فقط وإنما هو أوسع من ذلك وأعمق، فلو طلب أي منهما شيئاً خارج ذلك الحق كان على الآخر تنفيذه انطلاقاً من المحبة والتعاون لا من الوجوب الشرعي.

٣ ــ العفة

إن الصفة الثانية من صفات المرأة المسلمة هي "العفة"، في الخلاء وفي الجلاء أي: في السر والعلن، فتحفظ زوجها في حضوره وغيابه.

وظائف المرأة

من واجبات المرأة المسلمة التهيؤ لاستقبال زوجها قبل حضوره المنزل والتبسم في وجهه ساعة دخوله وإظهار السرور به والمودة له والإصغاء لما يقول وإشعاره بالرضا عنه.

وظيفة الرجل حيال المرأة غير المطيعة

لقد جاء في القرآن الكريم: **(واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن)** سورة النساء، الآية: ٣٤.

الموعظة

هي الإرشاد الممزوج بالتلطف والتحبب إلى الشخص المراد نصحه

فيجب أن تكون كالشمس التي لا تبخل بنورها الذي تبعثه من كل جوانبها، وأن تنبعث من الدليل السهل الجميل.

ويختلف النصح باختلاف الإنسان المنصوح له، فإذا كان امرأةً استدل الناصح بالقضايا العاطفية والنفسية، وهذا ما أشار إليه القرآن بقوله الحكيم: **(وجعل بينكم مودة ورحمة)**. أي أنه لا داعي للوعظ العقلي المستند للبراهين المنطقية الجافة.

فإذا قصرت المرأة في واجباتها خوطبت بلطف ومحبة يوقظان عواطفها، فإذا دخلت، واستقبلتك زوجك بلباس الطبخ وعليها البرم والنصب يجب أن لا تصرخ في وجهها وتطلق لسانك عليها.

وإنما عليك أن تعاملها بلطف وهدوء ومحبة، وتذكرها بألطف قول أن مثل هذا يخفض حرارة الود في الأسرة.

من منظار أحد علماء النفس

قال أحد علماء النفس: على الزوج الجيد أن ينظف حذاءه من الطين العالق به حين الدخول إلى المنزل، وعليه أن ينحي الغم والضجر والقلق من صدره والعبوس من وجهه قبل وروده إلى المنزل كما فعل بالطين العالق بحذائه.

وكذا الزوجة عليها أن تنظف المنزل وترتبه، وتخرج الكناسة منه، وأن تخرج الغم والأذى والفتور من ساحة الأسرة إخراجها الأوساخ من ساحة المنزل.

انموذج للتعامل الإسلامي

نضرب لك مثلاً على التعامل الإسلامي فافترض أنك شاهدت المنزل ساعة دخولك غير نظيف أو غير مرتب، ولا يليق بحياة إسلامية.

ماذا تفعل؟

يجب أن تعظ امرأتك موعظة حسنة، وتنبهها على النواقص بلطف مذكراً أن النظافة من الإيمان، ثم تشير إلى تأثير الجو النظيف في تربية الأبناء وسلامتهم ورشدهم متحدثاً عن واجب الأبوين في هذا الصدد.

ومثل هذا الحديث اللين المهذب سيؤثر في الزوجة، ويزيل ما يؤخذ عليها، فالموعظة التي تبدأ باللطف وتنتهي بالبيان لابد أن تكون طيبة الثمار.

تكرار النصيحة

كان أستاذنا المرحوم "آية الله العظمى البروجردي" يكرر ويلح على بعض المسائل التي كانت صعبة الفهم على بعض الدارسين في مدرسته حيث كرر في وقتها "قاعدة الفراغ" سبعة عشر يوماً، والغرض الأساسي من هذا التكرار هو إرساء قواعد الفهم في ذهن الدارس أولاً، وإقناعه بالموضوع المدروس ثانياً.

وفي بعض الأحيان يتطلب التكرار استبدال الألفاظ التي تتناول الموضوع الرئيسي لما له من تأثير في عملية الإقناع. والتكرار للموعظة يستلزم سعة الصدر والترفع على الانفعال والتوتر اللذين يوسعان الهوة بين الناصح والمنصوح له.

فالإنسان المسلط على عقله وقلبه يحظى دوماً بالنصر والوصول إلى أهدافه، حاله حال الكليم موسى (ع) الذي طلب من المولى بدعائه أن يساعده في شرح صدره وتيسير أمره فقال:
(قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي) سورة طه، الآيات: ٢٥ ــ ٢٨.

فالآية الشريفة تشير بوضوح إلى أن من يملك نفسه عند الغضب ويفتح قلبه للآخرين يستطيع بلوغ غاياته وحل مشكلاته. ويستجيب له الناس.

أثر المودة في الحياة الزوجية

إن إيفاء مسؤولية الأسرة يتطلب الصبر وسعة الصدر والايثار والعفو والعقل المخطط والاستفادة من المعلومات التي تدخل ضمن هذا المضمار؛ فإدارة البيت والمحافظة على سلامة الأسرة يوجزها قولهم السائر: "رئيس القوم خادمهم".

لقد ذكرنا أن أقصر الطرق لإدامة البيت السعيد هو استخدام العطف والمودة وإيجاد الانسجام بالتفاهم والتناصح، وإلى هذا أشار القرآن في حديثه عن لقمان (ع): **(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) سورة لقمان، الآية: ١٣.**

في هذه الآية الشريفة يتجلى لنا مقام الموعظة وأثرها مقروناً بالتلطف والعطف وما يبديه لقمان الحكيم لابنه معتمداً الاستدلال أساساً في التحدث إليه ومجتنباً التحقير أو الانتقاص منه لما للتحقير والانتقاص من أثر سلبي يطيح بالمقاصد السامية التي يرنو إليها، بل وقد يتسبب في خروج الابن على الأعراف والقيم السامية.

الاستنارة بالروايات في الموعظة

لموعظة الأهل يستنار بما ورد عن أهل البيت ــ (ع) بحسب المناسبة.

فيقال مثلاً: ورد في الروايات أن من يطول لسانها على زوجها يجر يوم القيامة حتى يطأه الحشر جميعاً.

أو أن الرسول الأكرم (ص) رأى ليلة المعراج نساء علقن من ألسنتهن في جهنم، فسأل جبرئيل (ع) عن ذلك، فقال: هؤلاء من أطلن ألسنتهن على أزواجهن.

ولابد من عرض هذه الروايات بمنتهى اللطف وعدم المس بإحساس المخاطب بها، وإلا أضرت كثيراً.

خلاف المرأة والرجل

يجب الانتباه على أن الكدر ينشأ من تقصير الطرفين عادة.

وهذا لا يعني ان المقصر هو المرأة وحدها أو الرجل وحده، بل الباعث هو حب النفس وضيق الصدر.

فلو أن جماعة اتسع صدرها، وتخلت عن الأثرة، لولى النزاع، وارتفع الكدر.

فلو كان الحديث مع الزوجة التي تجاسرت أو ما فتئت تتطاول عليه في حديث لا يليق لكان من الأنسب أن يذكر لها ما روي في المرأة التي ترد على زوجها بما لا ينسجم والحياة الزوجية وكيف أن لسانها أصبح طويلاً على حدٍ كان الناس معه يسحقونه تحت أقدامهم، أو تلك الرواية التي تتطرق إلى أن الرسول (ص) في ليلة المعراج رأى بأم عينه كيف أن عدة من النساء قد شددن من ألسنتهن إلى عالٍ حينها سأل الرسول (ص) جبريل عن سبب هذه الحالة فأجاب أن هؤلاء النسوة من النساء اللاتي يرددن القول على أزواجهن بما لا يليق وكن السبب في تعاسة الأسرة الواحدة.

طبيعي أن بيان مثل الأحاديث التي تحمل في جنباتها العظة والنصح ينبغي أن تسدى بشكل تشوبه الرحمة والمودة واسباغ العاطفة والتلطف أثناء سردها والابتعاد عن الحدة والإساءة إلى الشخص الذي يراد نصحه خوفاً من الوقوع في الآثار السلبية التي سوف تتسبب في نتائج لا تحمد عقباها.

منشأ الخلاف بين الرجل والمرأة

من الجدير بالذكر أن أكثر الخلافات التي يمكن أن تحصل بين الرجل والمرأة يرجع سببها إلى الطرفين. وكذا لا يمكن أن نعتبر المرأة فقط السبب الأساسي في الخلافات المنزلية ولا الرجل لوحده هو المخطئ، ويمكن أن نعزو السبب إلى عدم رحابة الصدور إلى حب الذات والتنكر للطرف المقابل وهذا قد يشمل الطرفين [الزوج والزوجة] على السواء.

ومن بديهيات الحياة أنه لا يوجد اثنان يتفقان اتفاقاً فكرياً وأخلاقياً، ومن الجملة الرجل وزوجه، لأن هذا التوافق يحصل بين الأنبياء والأولياء فقط لما لأرواحهم من اتحاد وتسليم محض لأمر الباري تعالى.

ومن هنا لا يتوقع أن يتفق الزوج والزوجة على كل الجزئيات فالاختلاف هو أحد الأمور الطبيعية التي لا ينبغي ان تؤثر في الأسرة تأثيراً سيئاً وتزلزل استقرارها.

إن الحل لمسألة الاختلاف في الأسرة هو التحمل وتقبل ما يقال برحابة صدر، فالزوج أو الزوجة يجب أن يضعا في ذهنيهما الابتعاد عن الحدة والصراخ أو الانتقاد الهدام، ويسعيا للتفاهم بكل هدوء ورحابة صدر وبالوعي وضبط النفس، يمكن أن تتضح الأمور ويزول الخلاف بسرور فإذا صفا الجو يشهدان الله ــ تعالى ــ على ما كان السبب الأساسي في بروز ذلك الخلاف.

ميل الرجل

من الرجولة وكمال الشهامة أن يعتذر الزوج لزوجته حينما يتبين له أنه كان السبب في بروز الخلاف. ولو اتضح للرجل تقصيره وظهر أنه هو السبب الأساسي في الخلاف لتعذر عليه أن ينصح لزوجته إذا قصرت بعدئذٍ، وما كان لمواعظه ونصائحه من أثر مستقبلاً. لأنه هو الأولى بالنصح.

وبصدد هذه القضية تفضل استاذنا الكبير القائد العظيم للثورة قائلاً: إن المثل الشائع: "كلمة الرجل واحدة" ليس صحيحاً، فالرجل الذي يشتبه في ارتكاب قضية خلافاً للعرف أو الشرع يجب أن يعترف بذلك، لأننا لسنا معصومين، ومن المسلم به أن نقع في الخطأ.

فعلينا أن نقر بأخطائنا، فذاك من القوة لا من الضعف، ومن الكمال لا من النقص.

والشخص الوحيد الذي يمكن أن يكون موفقاً في حياته هو ذلك الشخص الذي يتمتع بأخلاق كريمة تساعده على تقبل الحقائق برحابة صدر.

وبغير هذا سوف يكون إنساناً مستبداً وغير مقبولاً في المجتمع.

ومن علامات المروءة والشهامة إعطاء الحق لأصحابه إذا علم بأنه ليس بصاحب لذلك الحق.

وقد ينزغ الشيطان للرجل في أن الاعتراف للزوجة بالحق يجعلها امرأة جسوراً لا توقر زوجها ولا تسمع له.

غير أن منطق الإيمان لا يزن بهذا الميزان، فالإمام الحسن (ع) في معرض حديثه لجنادة قال: "من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطنة فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاته".

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) سورة مريم، الآية: ٩٦.

التغاضي عما مضى:

من الصفات الأخرى التي ينبغي أن يتصف بها كل من الرجل والمرأة التغاضي عن الأخطاء السابقة لحفظ مركزية توجيه الأسرة هذه الخصلة الحسنة تتجلى في سيرة الأئمة المعصومين وأنبياء الله (ع) هؤلاء العظام الذين طالما تجاوزوا عن أخطاء الناس وتناسوا ما سلف.

وفي أحد الأيام دخل المدينة رجل من أهل الشام، وقع نظره على الإمام الحسن (ع) وكان لا يعرفه، ولكن بعد أن تجلت له هوية الإمام التي سبقتها أسئلته عن شخص الإمام الحسن، امتعض هذا الرجل الواقع تحت تأثير إعلام السوء الذي كان يتبناه أعداء بيت العصمة آنذاك، وبدأ يكيل السباب والشتائم إلى الإمام (قربة إلى الله)؛ وبعد أن أخلى ما في جعبته من الكلام البذيء الذي لا يليق عرفاً ولا شرعاً، التفت إليه الإمام الحسن (ع) من دون أن يظهر عليه شيء من الغضب أو عدم الارتياح، ونظر إليه نظرة ملؤها العطف والرحمة تالياً من القرآن المجيد ما يخص الأخلاق الحسنة، مضيفاً إليها نحن مستعدون لكل مساعدة تريد.

ثم سأله: "هل أنت من أهل الشام؟".

فأجاب "نعم".

بعدها تفضل الإمام قائلاً "أنا لي معرفة سابقة بهذا التعامل والأخلاق وأعلم منبع تلك الأخلاق الفاضلة؛ يا رجل إنك غريب في هذا البلد وقد تكون لك حاجة يمكن أن أقضيها لك فانزل علينا نكرمك: نكسوك وننقذك".

وقف الرجل الشامي إزاء الإمام (ع) مذهولاً، متعجباً لأنه كان يتوقع عكس ذلك، ولم يكن ليتصور أن الإمام يمتلك عفواً على هذه الشاكلة، وقال: ليت الأرض انشقت وابتلعتني قبل أن أفعل ما فعلت، فوالله ما كان أبغض إلي من الحسن وأبيه قبل قليل، وليس أحد أحب إلي الآن منهما سلام الله عليهما.

مثال آخر من الروايات:

جاء عن الإمام الصادق (ع) أنه قال:

"العفو عند القدرة من سنن المرسلين والمتقين".

وكذا قال أمير المؤمنين علي (ع) بصدد العفو:

"إذا قدرت على ظلم الناس تذكر قدرة الله عليك" و"العفو عند المقدرة"(٢).

وقال لهم: أنتم الذين جعلتم مني أن أكون عزيز مصر؛ وبعد ملاقاته لأبيه مروراً بسني الهجرة التي جاوزت الأربعين سنة قال لأبيه: "إن الشيطان نزغ بيني وبين أخوتي".

وتجاوز كذلك عن ظلم زليخا التي أدت به على أن يمضي تسع سنين في غياهب السجون.

فليكن التجاوز عن الأخطاء الذي فعله الأنبياء وأولياؤهم ومن سار على نهجهم درساً وعبرةً؛ وهو ما تفصح به هذه الآية الشريفة:

(وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم، والله غفور رحيم) سورة النور: الآية: ٢٢.

تأثيرات الماضي

إذا ما تغاضى الإنسان في محيط الأسرة أو المجتمع بشكل عام عن الأخطاء الصغيرة كان لذلك أثر حسن، وأثمر التصافي والتحابب.

المهم في هذا التصرف أنه مدعاة لعفو الله ــ تعالى ــ في الآخرة عن الأخطاء والذنوب التي أقترفها هذا الإنسان المتجاوز عن أخطاء الآخرين.

فوجود العفو وغض النظر عن بعض الأخطاء داخل الأسرة يحفظ سلامة الأسرة، ويبعث على الفوز بغفران الله سبحانه وتعالى.

فما أطيب أن تتيروا مشاعل الرأفة والعفو لتحرقوا بها الأخطاء فيما بينكم من أجل نثر بذور المحبة داخل أسركم لتتمكنوا من العيش بسلام في ظلم العفو والرحمة.

تأثير التفاهم في الحياة

إن السعادة واللذة المعنوية في الأسرة الواحدة هي رهينة التفاهم، فمنه تنبعث الألفة والانسجام، وبه تحل الثقة والاطمئنان في الأسرة، ويستقر نظامها، ويشرق صفاؤها وسرورها.

وقد نقل "أحمد بن حنبل" في مسنده نقلاً عن عائشة قولها: "في أحد الأيام كان رسول الله (ص) في البيت وإذا بطبق من غذاء تحمله جارية "لصفية"(٣) كانت قد أرسلته إلى رسول الله (ص)، وحين وقوع نظري على تلك الجارية أحسست برجفة تسري في بدني وكأني خرجت من عالم الآدمية، وأخذت بطبق الغذاء منها ورميت به بعيداً بعدها نظرت إلى رسول الله (ص) فرأيته مدهوشاً متحيراً تظهر على عينيه علامات الغضب والتنفر مما فعلت فلذت به من غضبه وقلت: يا رسول الله تجاوز عني ولا تدع عليّ. فقال: استغفري ربك يا عائشة.

قلت: وكيف ذاك يا رسول الله؟

حينها قال الرسول (ص): جهزي طبقاً مثل ذاك الذي أرسلته صفية، واطبخي غذاء مثل ذاك الذي أرسلته وأرسليه إليها، "أي إلى صفية"(٤).

وبهذا الصدد تتعدد النماذج الكثيرة التي تحكي عن رحابة صدر النبي الأكرم (ص) وسعيه الحثيث في حل المشاكل بمعاملته الروحية والعقلية، مستنداً إلى القرآن الكريم في إسداء النصح إلى من كانوا يحيطون به.

ومن خلال وقوفنا على سيرة النبي الكريم (ص) ينبغي لنا أن نقتدي بهذه السيرة المباركة، ونغض أبصارنا عن التجاوزات والأخطاء الجزئية التي تتيح لنا فرص النصح والموعظة حلها وتجاوزها بكلام لين مهذب يشعر المخاطب بالمودة والرحمة.

إن الالتزام والتمسك بسيرة أهل بيت العصمة والطهارة والاستفادة من الروايات المتواترة عنهم يتيحان لنا معرفة الأسلوب الأمثل في التناصح والتفاهم سواء في حدود الأسرة أم في حدود الأمة التي لا تصلح إلاّ بصلاحنا، ولا ترقى برقينا في سلم الوعي الفاعل والشعور السليم.

روايات أخرى

نذكر نماذج أخرى لما لهذا الموضوع من أهمية خاصة في حياة المجتمع:

نقل عن أحد المعصومين (ع): أفضل النساء امرأة قالت لزوجها في حال الغضب: يدي بيدك وأمري لأمرك مطاع(٥). وكذلك قال (ع): إذا نامت المرأة وبعلها غير راضٍ عنها لعنتها ملائكة الله حتى تفيق من نومها(٦).

وإذا ما تحدث الرجل مع أهله بهذه الروايات بطريقةٍ كان فيها منشرح الصدر متبسماً طبعت أثرها الحتمي على أهله.

حسن الخلق

ليس من حق الرجل أن يعامل زوجته بشدة وحدة في حالة بروز الخلافات والمشاكل حتى ولو لم يكن له يد في بروز هذه المشكلات، إذ ليس من حق الزوج أو الزوجة على السواء الاخلال بقانون الأسرة وتفتيت نظام أول مدرسة لتعليم وتربية الأولاد.

ونقرأ في تاريخ الإسلام كيف أن الرسول محمداً (ص) شارك في دفن أحد أصحابه وكيفية مواراته بالتراب بيديه الطاهرتين في حين وقفت أم المتوفي على الجسد فتخاطبه قائلة: لن أبكي لأجلك، ولماذا البكاء عليك؟ وبيد رسول الله أنزلت إلى القبر؛ فأي سعادة هي التي حباك الله بها حين جعل رسوله (ص) ينزلك إلى مثواك.

وحين انصرفت أمه، قال رسول الله (ص) ووجهه صوب أصحابه؛ لقد اعتصر القبر فلاناً حتى هشم أضلاعه.

فقال أصحاب الرسول (ص) وكيف ذاك يا رسول الله؟ أو لم يكن من الصالحين؟

فأجابهم (ص): نعم، هو كذلك، ولكنه كان يسيء الخلق مع أهله.

وإذا ما كان الإنسان مسلطاً على عقله، غير سريع الغضب ممتازاً برحابة الصدر، فلن يكون هناك خلافات أسرية غير قابلة للحل، علاوة على الراحة التي سيحظى بها في أول ليلةٍ في القبر، إضافة إلى تجاوز الله تبارك وتعالى عن خطيئته يوم يقوم الاشهاد.

حسن الظن

تحظى مسألة حسن الظن بأولوية التفكير الجاد في المجتمع والأسرة إذ يجب التفكير والحكم على المسائل والقضايا بعقل يخالطه حسن الظن، لأن العيش في الخيال وإساءة الظن بالآخرين يسبب عقداً كثيرة تجر إلى الانطواء والأمراض العصبية والاغتياب، وإشاعة قضايا ما أنزل الله بها من سلطان.

وفي يوم القيامة يحشر الذين يسيئون الظن بالآخرين على هيئة الذباب، لأنهم كانوا في الدنيا يلوثون المجتمع ويعيبون على الناس وينتقصون منهم حالهم حال الذباب الذي يلوث الغذاء والهواء.

فالإنسان جدير أن يرى كمالات وألطاف الآخرين ويتجاوز عن نقاط الضعف والأخطاء التي يمكن أن يمارسوها.

وفي قصة عن نبي الله عيسى (ع) أنه كان ماراً على قريةٍ برفقة أصحابه، وفي الطريق شاهدوا معزاةً ميتة تثير على الانتقاد، وقتها بدأ أصحاب النبي (ع) بالتعرض للمعايب التي كانت فيها أما عيسى (ع) فقد قال: "اعجب لأسنان هذه الميتة كم هي بيضاء ناصعة".

وفعلى نبي الله عيسى (ع) هذا يعلمنا كيف نسدل الستار على عيوب الآخرين ويدلنا على أنه حتى الميتة فيها نقاط مدح إيجابية.

صفات الزوجة المثالية

لقد أشارت أغلب الأحاديث إلى صفتين من صفات الزوجة المثالية؛ وهنا نعرض صفات أخرى.

الزوجة ظهير لزوجها

من الصفات الحسنة للزوجة المثالية أنها لا تستبدل بزوجها كل عالم المخلوقات؛ ولهذا الأمر عدة حالات:

أولاً: في الحالات التي يمكن أن يتقول أقاربها ومعارفها على ما لا صحة له ولا يليق بزوجها، ترد ما يفترون رداً مؤدباً جريئاً مهذباً يحفظ الحق على أهله.

ثانياً: سلوكها وعملها يتساويان في الغنى والضنك، بل تتقرب إلى زوجها وتتواضع له أكثر حينما يمر بحالات الفقر والفاقة وضنك العيش، مستعينةً بالصبر، محافظةً على توازنها قبالة المشاكل المادية.

ثالثاً: عدم طرح الخلافات والأخطاء الخاصة بالأسرة خارج نطاقها.

الهوامش:

(١) طبيعي، إن التعامل في المؤسسات الإسلامية ومنها القوات العسكرية والجيش يجب أن يقوم على المحبة والألفة والتفاهم، وإذا قدر أن يكون التعامل جافاً وقانونياً بحتاً، فلن يوفق أحد في إنجاز عمل بالشكل المطلوب، ولن يمكن تحقيق القانون في مؤسسات القوات العسكرية بغياب المحبة والذوق وبذلك سوف ينعكس على مجمل المجتمع ومنها أسر القوات العسكرية نفسها.

(٢) سفينة البحار، مجلد ٢ صفحة ٢٠٨.

(٣) اسم إحدى زوجات النبي "ص".

(٤) مسند أحمد، ج٦، ص٢٧٢.

(٥) بحار الأنوار ج١٠٣ باب أصناف النساء.

(٦) المصدر السابق نفسه.

الموضوع

حكم ومواعظ القرآن الكريم والروايات
واجبات الرجل والمرأة وحقوقهما
العوامل المهمة في نظام الاسرة

حكم ومواعظ القرآن الكريم والروايات

في البداية نتطرق إلى ما استعرضه القرآن الكريم بهذا الصدد.

القرآن بشكل كلي يحث الإنسان على ستر عيوب الآخرين، وليعلم هذا الإنسان أنه خطاء وكله عيوب ونقص من مفرق رأسه وحتى أخمص قدميه؛ ولو كشف الله ستار العيوب عن أنظار الناس، لافتضح هذا الإنسان بشكل تشمل الفضيحة معه الخاص والعام.

فينبغي للإنسان أن يشكر المولى على هذه النعمة العظيمة حين أعمى البصائر عن نقائص وأخطاء الآخرين ليكم بذلك الأفواه عن فضح العيوب؛ وحري بالزوجة خاصة أن تهتم بهذا الأمر المهم ولتعلم أن الفقر والغنى كليهما ابتلاء للإنسان.

فبالغنى والفقر يمتحن الله مخلوقاته.

فعلى الزوجة أن لا تنتقص من زوجها ولا تنظر إليه من منظار مادي، وتسعى جاهدة أن لا تقارن بين حرمانها الحياتي مع غنى أقاربها ومعارفها حتى لا تتبدل حلاوة الحياة بمرها، فيطغى ذلك مؤثراً في نظام الأسرة.

وقد جاء في الأخبار أن أمير المؤمنين (ع) دخل بيته المتواضع أحس بالهدوء والطمأنينة وسكنت آلامه في الزهراء ــ عليه السلام ــ التي كانت تبذل قصارى جهدها لتخفف عنه أعباء الحياة وأذى الناس.

أما، إذا كانت الزوجة بعيدة عن الصلاح ولا تتصف بما عرضناه من صفات النساء الصالحات، ولا تؤدي ما عليها لزوجها فما الحل لهذا المشكل؟ الجواب: الموعظة فقط.

عمل المرأة وارتباطه بالعرف

من الطبيعي أن حقوق الزوج في عنق زوجته تنطوي تحت ظل الوظائف الأخلاقية التي تنفصل عن الوظائف العرفية.

ولا يحق للزوج أن يفرض على زوجته أوامر من قبيل كي الملابس وتهيئة الغذاء الجيد وما إلى ذلك، فحق الزوج المسلم على زوجته يتعلق فقط بالحق العام للزوجية والتسليم المحض في هذا الأمر.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الزوجة الصالحة يمكن أن تقوم روحية ونفسية زوجها لتعمل طبقاً لما يوافق هذه الروحية والنفسية لتصل إلى مرحلة تفهم معها الزوجة مطالب زوجها بغير تذكير ولا تقرير.

شروط تأثير النصيحة

ذكرنا سابقاً أن النصيحة أو الموعظة يشترط في تأثيرها ثلاثة شروط:

١ ــ التلطف: فالموعظة يجب أن تكون بتلطف وتودد وأن تكون خارجةً من صميم القلب.

٢ ــ الاستدلال: القصد من ذلك أن يكون للنصحية سند صحيح وتعتمد على أساس قوي من الدلائل والبراهين الواضحة.

٣ ــ رحابة الصدر: هذا الشرط يحظى بحصة الأسد في أهميته فهو من النعم الكبيرة التي أنعم الله بها على عباده؛ ولهذا ركز عليه القرآن الكريم في قوله المبارك للرسول الأكرم (ص):

(ألم نشرح لك صدرك) سورة الانشراح، الآية: ١.

وقد عنى ــ سبحانه وتعالى ــ بشرح الصدر رحابته للأمور وقدرته على استيعابها بحكمة وطمأنينة تقربه من النفوس وتزيده جلالاً في العيون.

رحابة الصدر من صفات الأنبياء

لقد كان الأساس في تبليغ الرسول ابتداءً من بعثته وانتهاءً برحلته رحابة صدره وحسن خلقه الكريم.

ولقد كانت رحابة الصدر من دواعي نجاحه وانتشار رسالته (ص).

وفي خطاب الله ــ سبحانه وتعالى ــ إلى موسى بن عمران (ع) الذي دعي فيه إلى دعوة فرعون للإسلام ينم عن الخلق الرفيع ورحابة الصدر إذ قال سبحانه:

(إذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى) سورة طه، الآيتان: ٤٣ ــ ٤٤.

وحين سمع موسى هذا الخطاب الرباني وهو يرى بأم عينه التجهيزات العسكرية والقدرة الضخمة من الجيوش التي كان يمتلكها فرعون توجه إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ طالباً السكينة وشرح الصدر:

(قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) سورة طه، الآيات: ٢٥ ــ ٢٨.

من الطبيعي أنه إذا كان الإنسان واسع الصدر كان لكلامه الأثر الكبير في نفوس الآخرين، ولكن إذا ضاق صدره وارتكب ما لا يليق بالإنسان الكيس فلن يكون هناك أثر لموعظته أو حديثه في نفوس الآخرين وسيفقد حق النفوذ في نفس من يريد وعظه ونصحه.

ويجب أن يعلم ما للارتباط بالله ــ جل وعلا ــ من أمور تبعث على صفاء النفس ورحابة الصدر وطيب الخلق، وكلما زاد الإنسان من صدقه مع الباري وسعى إلى تقوية روابطه مع المولى تمكن من تنمية همه التي تمنحه الحلم والتحمل.

من الواضح جداً إذا كان رب البيت قوي الإرادة حليماً نفذت كلمته في نفس مقابله.

الخلافات الناتجة من اهمال الزوجين

يمكن أن نجمل ما نريد أن نقول: عند مشاهدة اهمال من الزوجة يمكن أن تتلافى الفوضى الأسرية باسداء النصيحة من غير ان تسيء الأدب لأحد من الأسرة، لأن الكلام غير المناسب يتلف الثمرة المرجوة.

إن أغلب المشكلات التي تحدث الخلل في النظم الأسري ليس فقط من المرأة فقد تكون من الزوجين كليهما.

ويمكن أن نرجح أكثر الاختلافات والمشكلات في الأسرة إلى الرجل، لأنه يتصرف بخشونة واستعلاء.

إذا كنا نروم اصلاح المرأة، ينبغي أن لا نغفل عن أنفسنا، إذ من المهم أولاً أن نترفع عن المعاصي والأخطاء ونربي أنفسنا قبل اصلاح غيرنا ولا سيما الزوجة التي تتأثر بما تشاهد من أفعالنا أكثر من تأثرها بما تسمع من أقوالنا النصح والموعظة. وبهذه الطريقة فقط يمكن أن نقلل من ظهور المشكلات وبروز الاختلافات.

إن ضغوط الحياة والعمل والمجتمع لا ينبغي أن تنعكس على محيط الأسرة لتطفو المشكلات على سطح الحياة البيتية، لما لسوء الخلق والتخاذل الذي يبديه الأب والأم من أثر سلبي على الأولاد.

لقد أشار علماء النفس كثيراً إلى أن التعامل الحاد والخشن والضرب قد يضر الأولاد ويدمر شخياتهم، ربما أدى إلى ضياعهم ضياعاً لا يؤثر فيه الإصلاح والتهذيب.

البيت أول مدرسة لتقويم الإنسان

يجب أن يكون المنزل هو الدرس الأول لتربية الأولاد، فيشع ألواناً طيبة من التفاهم والمحبة والانسجام والايثار والتجاوز عن أخطاء الآخرين.

ولا يليق أبداً أن يكون مكاناً لنزاع الأبوين. لأن هذا النزاع يكون بداية لضياع أهم الحقوق التي يجب أن تكون حكراً على الأولاد.

أو لم يكن الظلم الذي ألحق بأولادكم مرجعه إليكم؟

أو لم تكونوا السبب الرئيسي في خيبة أولادكم وعصيانهم لكم؟!

لا ينبغي للأبوين أن يغفلا أبداً عن أن أي عمل مهما كان صغيراً سوف يكون له الأثر الفعال في الأولاد، فالبيت أو المنزل هو الباعث الأساسي لتكوين شخصية الأولاد.

وإذا ما أهملنا أو تقاعسنا في هذا الأمر كنا مصداقاً للآية الشريفة التي تقول:

(قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين)
سورة الزمر، الآية: ١٥.

ما يحفظ سلامة الأسرة

أعزائي، حافظوا على الهدوء داخل المنزل لضمان سلامة المحيط العام للأسرة.

حافظوا على الابتسامة مع الأهل والأولاد بشكل موقر حين التعامل معهم، وابتعدوا عن القلق والاضطراب في المنزل.

وإن كان لابد وأن يظهر عليكم، فلا بأس أن يكون خارج حدود المنزل، وفي أثناء مواجهتكم للمعضلات والمشاكل ينبغي بكم أن تكونوا حديين وجادين في قطع دابر المشكلة من الأساس. ولتعلموا أن الهم وتجرع الغصص مثلها كمثل الأفعى والعقرب فإن لم تسارعوا إلى إبادتها، ابادتكم.

واحفظوا ألسنتكم ولا تهدموا بيوتكم بالكلام الجارح الذي يعمل على تكدير الصفاء عن المنزل ناهيك عن تخريبه لنظام الأسرة.

واسعوا أبداً أن لا تكونوا السبب في امتعاض الأهل والأولاد والأصدقاء منكم.

أحبوا أهليكم وأولادكم، وتقربوا إليهم بالحديث الطيب مظهرين لهم محبتكم التي تنم عن عواطفكم الجياشة تجاههم وكونوا كما قال الرسول الأكرم (ص):

"قول الرجل لأمرأته إني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً"(١).

وبهذه الكلمات القليلة يمكن للرجل أن يتلافى كثيراً من المشكلات الثقال التي قد تثار من قبل الزوجة، بل إن هذه العبارة تسهم إسهاماً فعالاً في تنشيط الزوجة وتعطيها زخماً أكبر مما كانت عليه يساعدها في إدامة تربية الأطفال.

وأنتم جديرون أن تعلموا أن أساس استحكام نظام الأسرة يقوم على الود والاحترام المتقابل بين الرجل والمرأة.

وهذا الود والاحترام سيساعد في تنمية نور الرأفة والمحبة والحنان في قلبيهما، وبقائه مضيئاً.

الأولاد قد لا يشكون من الحرمان المادي بقدر ما يعانون من الاختلافات والتعنت الذي قد يحصل في الأسرة، لما لهذه الأمور من تأثير مباشر في كسر شوكة المعنوية والعطف.

التوادد والتحابب والرأفة يمكن أن تسد المكان الخالي من الفقر والحرمان والفاقة.

عليكم أن تعلموا أيها الأعزاء: أنه إذا ما قدر أن تنعدم الرفقة والمحبة المتبادلة بين الزوج والزوجة.

وكذلك العطف الذي يبديه الزوجان تجاه أولادهما، وإذا ما فقدت البشرية المحبة بين أفرادها، تلاشت المجتمعات الإنسانية، أو وقعت في مستنقع الضجر والرذيلة.

وما مشاهداتنا لكل هذه الجرائم، الظلم، الاعتداء، الاغتصاب، حالات الطلاق والخلافات بين الشرقيين والغربيين إلا نتيجة واقعية لغياب الروح العنوية والالتزامات النفسية مما جر إلى تبديل الروح الإنسانية بروح آلية مادية فقدت روحها وبقي منها ما يشبه الجماد فلا ود ولا صفاء نفسي ولا حتى آثار للعاطفة والرحمة.

المحبة منشأ العفة

لن تكون هناك عوامل أو أسباب تخرج المرأة أو الزوجة عن مسيرة العفة والطهارة إذا أحبت زوجها، لأن أغلب الانحرافات والخلافات التي يمكن أن تحدث للنساء أو للأولاد تبدأ من ضآلة ما يبديه الرجل لأمرأته وسائر الأسرة من محبة واحترام.

لاشك أن كل فرد في الجتمع الإنساني يحتاج إلى المحبة(٢)، وهذه الحاجة تظهر بوضوح عند النساء أكثر وأقوى مما نجده عند الرجال وأساس هذه المحبة فطرية.

فعلى الرجل أن يعمل بجهده ويبذل ما في وسعه لأن تحظى هذه المسألة بعناية خاصة داخل محيط الأسرة. فيسلك مختلف الطرق للفوز باعتماد الزوجة الذي ينبع من إظهار الود والمحبة لزوجته وأسرته جميعاً، حتى إذا عظم الود في نفوسهم تفادوا وضحى كل منهم من أجل الآخر.

وهذا ما نشاهد أثره في تنظيم سلوك الأسرة، وطالما ذكر الأئمة الأطهار به، قال الصادق (ع):

"من أخلاق الأنبياء حب النساء"(٣).

وفي أحاديث أخرى للإمام الصادق (ع) يذكر فيها ما معناه أن: كلما زاد حب الرجل لزوجه كان إيمانه بالله أكثر"(٤).

و"كل شخص كان بنا أهل البيت رحيماً كان بزوجه أرحم"(٥).

وكذا قال الرسول الكريم (ص):

"خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله"(٦).

من هنا، يتبين لنا أن العظماء أرادوا أن نتعلم من هذه التوصيات كيفية الحفاظ على المحيط الأسري وجعل المنزل مكاناً للأمن والاطمئنان، والابتعاد عن الأنظمة الاجتماعية الأرضية التي ما فتأت تفسد حياة الأسر وتسعى لتفتيت القوانين الاجتماعية بشكل عام والأنظمة الداخلية أي على صعيد الأسرة مما يسهم في اضمحلال وفساد وتمييع المجتمع البشري العالمي.

واجبات الرجل والمرأة وحقوقهما

أشرنا سابقاً، إلى أن حق الرجل يتمحور فقط حول استمتاعه بزوجته.

وما تنجزه من قبيل الطبخ والغسيل هو معروف منها تسديه إليه، وليس واجباً عليها له، وإن شاع أنها من الوظائف الأخلاقية للنساء وليست حقاً للرجال.

لذا نرى الرسول الأكرم (ص) يذهب إلى بيت الزهراء ــ سلام الله عليها ــ في اليوم الأول بعد الزفاف من أجل أن يبارك لهما الزواج يقسم الأعمال بين هذين العظيمين قائلاً ما معناه:

"يا زهراء، إن أعمال المنزل، من قبيل الخبز أو طحن الشعير والحنطة، وتنظيف الدار، ورعاية الأطفال سهمك؛ أما سهم أمير المؤمنين (ع) فيتمثل في تهيئة الحطب، وجلب الماء، وترتيب ما يحتاجه المنزل من مواد أخرى تجلب من خارج المنزل".

بعدها، تفوهت فاطمة الزهراء (ع) بهذه العبارة التي ينبغي أن تلزمها كل المؤمنات وهي:

"لا يعلم إلا الله ما داخلني من السرور في هذا الأمر"(٧).

الحقوق والعاطفة

ما أجدر الزوجين أن يكونا رفيقين رحيمين يعطف أحدهما على الآخر ويعينه على النهوض بخدمة الأسرة التي يشتركان في إدارتها! فإنهما إن لم يكونا كذلك انفرطت الأسرة وخسرت شركتهما.

ولو حكم القانون وحده علاقات الأسرة، وتوقف العمل على أداء الواجبات فقط، لتوترت حياة تلك الأسرة، وأصابها الخسران.

وكذا لو حكمت العاطفة لوحدها.

لذا يستلزم أن يكون القانون إلى جنب العاطفة في تحكيم الروابط الأسرية.

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان) سورة النحل، الآية: ٩٠.

مع وجوب التزام الرجل والمرأة مراعاة القوانين الإسلامية يجب أن يكونا رفيقين يعطف أحدهما على صاحبه.

التعاون

كان رسول الله (ص) على يومه قد ذهب إلى منزل أمير المؤمنين (ع) فوجده ينظف عدساً، فسر الرسول (ص) بهذا العمل وقال:

"يا علي، من أعان زوجه على عمل في المنزل، كان له ثواب عمرة".

جهاد المرأة

جاءت امرأة إلى رسول الله (ص) وقالت لي سؤال أوجهه لك نيابة عن كل نساء العالم من الآن حتى يوم القيامة: لماذا فرقت بين الرجل والمرأة في الجهاد مما يبعث على حرمانها من الأجر والثواب الذي خصصت به الرجال دون النساء؟

فأجابها الرسول الأكرم (ص):

"جهاد المرأة حسن التبعل"(٨).

وعلى هذا الأساس، يجب على المرأة أن تنظف منزلها على أكمل وجه، وتطبخ الطعام، وتغسل الملابس، وتربية الأولاد، والتجمل لزوجها لتكون مشغولة دائماً في الخطوط المتقدمة للجهاد في سبيل الله تعالى.

حقوق الرجل

لقد علمنا الرسول الكريم حقوق الرجل على المرأة في معرض جوابه عن سؤال امرأة وهكذا كان:

١ ــ للرجل حق الاستمتاع المطلق في أي وقت شاء.

٢ ــ لا يحق للمرأة أن تتصرف بأموال زوجها بغير رضاه.

٣ ــ لا ينبغي للمرأة أن تغضب زوجها، وإن حدث وأغضبته عليها أن لا تسلم جفناً لنوم(٩).

بعدها سألت تلك المرأة رسول الله (ص) وقالت: وهل هذه الحقوق يتساوى فيها الرجل الظالم والسوي؟.

فقال (ص):

نعم، ويجب على المرأة أن تكون متواضعة لزوجها في كل الأحوال ولا يحق لها أن تعرض عنه.

والرجل أيضاً ــ كما بينا سابقاً ــ لا يحق له أن يطلب من زوجه شيئاً عدا الاستمتاع.

أما المرأة فحري بها أن تنجز كافة أعمال المنزل على أحسن وجه انطلاقاً من الخلق الرفيع واحترام الروابط الإنسانية والعاطفية التي تربطها بزوجها.

وهكذا، يجب على الزوجة أن تتناسى أو تتغاضى عن كثير من الخلافات التي قد تحدث داخل محيط الأسرة بشكل. فإذا قدر للرجل أن يخرج من البيت غضبان قلقاً، كان على المرأة أن تهيئ نفسها جاهدةً لإزالة الغضب والقلق في أثناء رجوعه، وتستقبله بوجه مبسوط تعلوه الابتسامة لتدخل السرور على نفسه.

وعليها أيضاً أن تتواضع لزوجها ما قدرت، وعندما تتحدث إليه يجب أن تضع في ذهنها التودد إليه والتبسم له حفاظاً على سلامة بيت الزوجية. فإظهار المحبة والرفق والود يمكن أن ينزع جذور الخلافات والنزاعات من الأساس، ناهيك عن الأخذ بيد الزوج حين تتكالب عليه الأمور وتتفاقم المشكلات.

ولا غرابة في الأمر إذا ما قلنا إن مثل هذا السلوك هو إحدى وظائف المرأة قبالة زوجها.

امرأة أبي أيوب الأنصاري

لقد كان لأبي أيوب الأنصاري ولد له من العمر سنتان أو ثلاث توفي في غياب أبي أيوب عن الدار، فجلست زوجه في البيت تندب ابنها وتبكي لفراقه، ولكنها نحت الغلام جانباً، وتزينت لزوجها واستقبلته بوجه بشوش ساعة عاد إليها وكأن شيئاً لم يكن.

أفاق أبو أيوب عند السحر قاصداً المسجد ولكن زوجته واجهته بسؤال قائلة: يا أبا أيوب إذا ما ائتمنك شخص على شيء وجاءك بعد مدة يريد استرداده منك، هل ترده إليه أو لا؟

فقال: نعم. أردها إليه.

فقالت: قبل ثلاثة أعوام أئتمننا الله على أمانة وبالأمس استردها فعليه عجل بالمجيء بعد الصلاة لدفن ابننا.

فقال أبو أيوب: "الحمد لله رب العالمين". ومضى إلى المسجد؛ وعرض على رسول الله (ص) ما جرى.

فاستبشر الرسول (ص) وقال له: "بارك الله لك في ليلتك تلك". وتتفق الأقدار على أن تنعقد نطفة في تلك الليلة ليأتي بعد مدة ابن صالح كان نصيباً صالحاً لذلكما الطيبين.

سلوك الرجل الزوج

طبيعي القول إن من وظائف الزوج عند رجوعه إلى المنزل أن يكون متبسماً مبتعداً عن الهموم والغموم التي حصلت له خارجه لانفعال من بعض الأصدقاء أو من بعض الوظائف الاجتماعية أو ما شابه ذلك.

وينبغي له أن لا ينقلها داخل المحيط الأسري فيفتت بذلك جزءاً من نظام الأسرة.

وبناءً على هذا، فالحارس أو الجندي حري به أن يلين في أسرته ويحفظ بالغضب والشدة لعدوه. بل عليه أن يلين حتى لعدوه، إذا قدر عليه وأسره.

إن التشدد مع الأهل والأولاد وسوء الخلق محرم على المسلمين، لأن ذلك تكبر، وليس للمسلم أن يتكبر إلا على العالين في الأرض، فالتكبر على المتكبر عبادة.

العوامل المهمة في نظام الأسرة

يرتكز النظام الأسري وروابط الرجل بزوجته على مسألتين مهمتين:

الأولى: القوانين والنظم الحاكمة لهذين الاثنين، أعني حقوق المرأة على زوجها، وحقوقه عليها.

الثانية: هي أهم وأدق من الأولى، وهي: التفاهم والمحبة والتعاطف والتعقل.

وإذا حدث أن تخاطب الزوجان بأنا وأنت، ولماذا وكيف وسادت هذه اللغة حياتهما سيادة صارمة تذكر الذنب وتنسى العفو نُكت في صميم الأسرة نكتة سوداء تزداد سواداً كلما ازداد سوء الحساب في تلك الأسرة، حتى ينطمس ضياء تلك الأسرة وتغرق في الظلام.

قسوة القلب

قال الإمام الصادق (ع): "إذا أذنب الرجل خرجت في قلبه نقطة سوداء، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه، فلا يفلح بعدها أبداً"(١٠).

(ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوء أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) سورة الروم، الآية: ١٠.

تقسية نظام الأسرة

وتصدق الآية المباركة أيضاً والحديث الشريف السابق لها على الأسرة، فإنها تهتز وتنهار إذا اعتراها الخلاف المستمر دون إصلاح.

ولذا نقرأ في روايات أهل البيت (ع) أنه: إذا برزت الخلافات عليكم بإزالتها بدقة، ولا تصلوا صباحكم بمسائكم حتى تنتهوا من حل جميع ما ألم بكم من مشكلات.

إن الاختلافات الجزئية تتعاظم شيئاً فشيئاً، حتى تجر إلى الطلاق فتحدث الكارثة.

والطلاق ــ كما تعلمون ــ من الأمور المبغوضة عند الله(١١)، والحياة إذا كانت على هذه الهيئة من خصام وشجار، أعنف من أي سجن يعذب فيه الإنسان.

وفي كلتا الحالتين وأعني (الحياة المضطربة) أو (الطلاق) يجر الأولاد إلى مخاطر حتمية، فهم حين ينشأون في محيط متخلخل ومضطرب، يكبرون معقدين نفسياً أينما يولوا وجوههم لا يأتوا على شيء.

والفتيات غير المقتدرات على الانسجام مع الحياة الزوجية، غير قادرات على تربية النشء الصحيح.

والسريعو الغضب والسيئو الأخلاق ذوو الحدة والخشونة من الناس هم ممن تربى في أحضان أسر مضطربة قلقة أو كانوا أولاد الطلاق.

صفات النساء المحمودة

من الخصال التي تجدر النساء بها ثلاث هن: البخل، والخوف، والزهو.

ولذا قال أمير المؤمنين (ع) في معرض حديثه عن صفات المرأة المحمودة.

"خصال خيار النساء، خصال شرار الرجال: الزهو والجبن والبخل.

فإذا كانت المرأة ذات زهو لم تمكن من نفسها، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة فرت من كل شيء يعرض لها"(١٢).

فزهو المرأة وتكبرها في مواجهة الأجنبي يشبه إلى حدٍ ما زهو الرجل وتكبره في مواجهته للعدو.

وفي الأساس، ليس هناك من داع أن تتواضع المرأة للرجل الأجنبي، بل لابد لها من أن تكون نهاية في الغرور والتكبر، لما للابتسامة والتواضع للرجل الأجنبي من دواعي الفساد.

والجبن: صفة أخرى حميدة من صفات المرأة، ولا يستلزم أن تكون المرأة شجاعة تخرج على سبيل المثال ليلاً لوحدها، فتوقعها الشجاعة في شراك الضعفاء والذين في قلوبهم مرض، فتجني على نفسها ما يبعث على إراقة ماء الوجه والدخول في مشكلات هي في غنىً عنها.

أجل، الصبر على الشدائد ومواجهة المشاكلات يدخل ضمن الشجاعة ولكن يختلف عما ذكرنا آنفاً.

والجبن هذا الذي نعنيه محمود في حفظ العفة والناموس.

والبخل كذلك، صفة محمودة في النساء، لما لها من آثار إيجابية في حفظ أموال الزوج والسعي في عدم الإسراف اعتباطاً.

التفوه بالكلمات النابية وأثرها على الأولاد

أشرنا إلى أن محيط الأسرة هو كالدولة الصغيرة التي يسعى من في داخلها للحفاظ عليها؛ رئاسة المنزل بعهدة الرجل انطلاقاً من حكم الشريعة والعقل، وعليه أن يسلك سلوكاً يوصله إلى مكان تكون كلمته فيه نافذة، ناهيك عن التحكم في عواطف أفراد أسرته.

تنفيذ التكاليف اشتياقاً

أفراد الأسرة الواحدة، وخاصة الزوجة، عليها أن لا تركب رأسها قبالة أوامر رب الأسرة، وينبغي لها أن تنفذ ما تومر به على الرحب والسعة وتتابع مسؤولياتها من دون إكراه وقهر طبقاً لكون الإنسان مختاراً في الإسلام.

ومن لا تعرف وظيفتها، وتشعر بأنها مرغمة على أدائها تفتر علاقتها بزوجها، ولا تنهض بواجبها إلا حين تراه.

ومن هذا الجهل والشعور الخاطئ تنشأ عوامل فناء الأسرة.

ومسؤولية المرأة داخل حدود المنزل مساوية لمسؤولية زوجها خارج المنزل. فكلاهما ينهض بما تحتاج إليه الأسرة من شؤون.

فيجب أن لا تتكاسل في عملها في إيجاد أسرة نافعة على مستوى المجتمع الكبير.

وضعية القائد والمقود، المرأة وزوجها، الأب والإبن كل هؤلاء حري بهم أن يتعاملوا مع من دونهم أو مع من هم أكبر منهم بكامل الاختيار وصولاً للهدف المرسوم وهو المسؤولية وكيفية إنجازها.

وعلى هذه الشاكلة فقط يمكن أن يكون التوفيق حليف العاملين.

يجب أن يعلم الرجل ــ على الرغم من أنه قائد ورئيس ورب أسرته ــ أن حكومته للأسرة والتوفيق الذي قد يصبغ حكومته هذه سوف يمكنه من النفوذ داخل قلوب أفراد أسرته أو حكومته وسيتمكن من تسخير هذه القلوب فيما يريد.

ائتمار الزوجة والأولاد

على الزوجة والأولاد الائتمار بأوامر رب الأسرة والانتهاء عما نهى انطلاقاً من وجوب احترامه وامتثال ما يريد من الحق، لا من الخوف منه.

فبالتودد تحيا القلوب الميتة، وبالتمرد تموت القلوب الحية. ومن التودد معرفة الواجب وأداؤه، وهو كما نصت عليه الآية المباركة:

(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم).

فللرجل القيمومة على زوجه وتوجيهها حفاظاً على ما بينهما من المودة والرحمة. وإنما أوتي هذا الحق لما له من وعي وصبر على خدمة أسرته والحرص على سعادتها أبداً.

فهو لا يحاسب حتى يدرك، وإذا حاسب رحم وأنصف. وحسابه تذكير وتنوير لا تسلط وتجبر.

وإذا كانت الزوجة ــ لا سمح الله ــ طويلة اللسان على زوجها اضطرب سير الأسرة، واضطر الرجل إلى البطش لتقويم الإعوجاج. وقد يزداد الوضع سوءاً باستعمال القوة وسيكون الأمر أشد على المرأة العاصية. ولهذا ننظر في مسألتين مهمتين:

الأولى ــ سوء الخلق

إذا كان الرجل سيئ الخلق لأهله يحمل أسرته ما لا طاقة لهم به، عاملاً طبق ما يمليه عليه هواه، فسوف يلقى حسابه في هذه الدنيا على يد الحكومة الإسلامية علاوة على ما ينتظره من ضغطة القبر.

عذاب البرزخ الطويل

من حسن الحظ، أنكم تعلمون أن الحساب في عالم البرزخ وعالم القيامة يختلف عن الحسابات الدنيوية.

فهناك عذاب شديد وعظيم تعادل فيه الدقيقة من العذاب مع آلاف السنين من حسابنا في هذه الدنيا الفانية على كل حال.

النساء مؤتمنات من قبل الرجال:

النساء المسلمات هن المطيعات الحافظات لعهودهن وحقوق أزواجهن ساعة الغياب.

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إليهن بالحفاظات **سورة النساء، الآية: ٣٤.** والمعني هنا حفظ العفة داخل البيت الزوجي وخارجه، وإذا تنكرت المرأة لحفظ عفتها فقد خانت زوجها، لأن عفة المرأة حق أساسي من حقوق الرجل، فالنساء المتبرجات خائنات، ولا يقتصر الابتذال في العفة على خيانة العفاف بشكل عام، بل يتعداه إلى خيانة الزوج والطعن في نظام المجتمع بانتهاك حرمة الحجاب مثلاً وجلب أبصار الغرباء والمحارم ممن لا يحلون عليها.

إذن على المرأة أن تكون حارساً على عفتها، فهي أمانة لزوجها عندها أي أن النساء مؤتمنات من قبل الرجال، لذا عليهن أن يتحملن عبء هذه الأمانة في أعناقهن.

وعلاوة على حفظ العفة، التواضع الذي يجب أن تبديه الزوجة لزوجها، لأنه لابد للمأمور من التواضع من عذاب العاجلة، فعذاب دقيقة في القبر يعدل ألف سنة من عذاب الدنيا.

في الأخبار عن المسيح (ع)

جاء في خبر، أن عيسى (ع) أحيا بإذن الله فتىً مات لدقائق مضت، وبعد لحظات من دفنه خرج من قبره وقد شاخ وانحلت قواه واسود لونه وذبل وعلته قترة من الغم ومن الحزن.

على هذه الحال سأله المسيح (ع): كم انقضى من الأيام على وفاتك؟

فأجاب: فوق عشرة الآف سنة (على الرغم أنه لم تمض دقائق على وفاته).

سأله ثانية: ماذا لديك من أخبار عالم البرزخ؟

قال: بعد أن غطيت بالتراب وذهب عني الأهل والأحباب وبقيت وحيداً، جاءني الموكلون الإلهيون يناقشون فيما أمضيت؛ وحين أعجز عن الجواب يعملون بي السوط، فامتلأ القبر ناراً، وهكذا مضت عليّ ألف سنة وأنا على هذه الحال أتلوى تحت سياط النار.

رواية أخرى

جاء في مكان آخر أن المسيح (ع) كان قد أحيا إذن الله تعالى رجلاً عجوزاً كانت السنون قد أتت عليه وعلى قبره فلم تترك لقبره معلماً وحين بعث من رقدته كان يثير الدهشة بنشاطه وسروره؛ فسأله المسيح (ع): كم لبثت؟

فأجاب: ما هي إلاّ لحظات.

فسأله ثانية: ما الخبر عن عالم البرزخ؟

قال: بعد رد التراب عليّ في القبر فتح لي باب لروضة غناء كبيرة، خضراء فرحت إليها وإذا بحور العين تحثني على إسراع الدخول عليهن وقد هببن لاستقبالي.

تذكير

لا نعني بسوء الخلق السباب والشتائم، التلفظ بالكلمات النابية عمل قبيح وغير محمود، ولا ينبغي للمسلم أن يطعن ويلعن ويتفوه ببذئ الكلام حتى على عدوه. فقد منع أمير المؤمنين (ع) في حرب صفين نفراً من جنده كانوا يسبون ويشتمون أفراداً في جيش العدو، وقال (ع): إني أكره ان تكونوا سبابين(١٣).

وعلى المسلمين أن يدعوا لعدوهم، ويطلبوا لهم من الله الهداية إذا كانوا هم أهلاً لذلك.

حكاية عن سوء اللسان (البذاءة)

في خبر عن الإمام الصادق (ع) بصدد البذاءة، أن أحد أصحابه (ع) كان عنده وقد أوصاه بالذهاب إلى مكان ما.

وإذ مضى كان غلامه يمشي خلفه، فناداه، لكن الغلام لم يرد.

وناداه ثانية، فلم يرد أيضاً.

وناداه الثالثة، فلم يسمع منه جواباً، فسبه قائلاً: "يا ابن الفاعلة، إياك أعني".

يقول الراوي: وعند سماع الإمام الصادق (ع) قبيح كلامه وقف عن الاستمرار في سيره، ووضع يديه على خاصرتيه، وقال: ماذا قلت؟

قال: يا ابن رسول الله، هذا الذي قلته للغلام لعلمي أن أبوي الغلام ليسا من الإسلام في شيء وأنهما كان هنديين.

قال الصادق (ع): دعنا من أبويه، أريد أن أقول لك لماذا تسب وتشتم؟

ليس لك بعد الآن حق في صحبتي.

قال الراوي: لم يقبل الإمام الصادق (ع) يوماً ضيافة هذا الصحابي ولم يصاحبه في قليل أو كثير على مدى حياته.

رواية أخرى

في خبر آخر جاء: إن اليهود ائتمروا أن يسيئوا القول للرسول (ص)، فذهبوا إلى داره واحداً بعد آخر للسلام عليه بعبارة "السام عليكم" أي: نتمنى لك الموت.

فأجاب الرسول بكل صلابة "وعليكم".

فاستاءت "عائشة" من قباحة اليهود، وبدأت تكيل لليهود السباب والشتائم، وقالت: "الموت لكم أولاد الخنازير والقرود".

حينها حبس الرسول الأكرم (ص) عائشة وقال:

"إذا لم تتجسم حقيقة السب واللعن، فلن تكون هناك صورة أقبح من هذا السب وذاك اللعن".

نتيجة

من هذه الروايات والأخبار يمكن أن نخلص إلى نتيجة هي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يكونوا متأدبين، ممتنعين عن لغو الحديث وما إلى ذلك من السب والشتم وأن يحفظوا ألسنتهم كما يحفظون أموالهم.

ومراعاة هذا الأمر في الأسرة خصوصاً تحظى بأهمية كبرى، فإذا لم يراع المسلمون هذا الأمر، فلا يمكن لأحد أن يطلق عليه اسم حارس الإسلام وقد يشطب اسمه من سجل النبي الأكرم (ص) ليخرج بذلك من أمة رسول الهدى (ص).

ولا يكون تقصير المرأة في عملها مثلاً داعياً لسبها وباعثاً على إهانتها.

وليس لأحد حق في أن يسب أو يشتم زوجته أو أي شخص آخر، إذا ضيعوا حقه، لأنكم سوف تواجهون بسبابكم هذا شدة عذاب القبر، وستجرون في الغد القريب (يوم القيامة) إلى العذاب بالسب والشتائم.

المسألة الثانية ــ تأثر الأولاد

المسألة الثانية التي يجب أن نلتفت إليها، هي تأثر الأولاد بسلوك الأبوين من عمل أو قول.

وعلى هذا الأساس لا ينبغي أن يسيئ الوالدان القول أو الفعل في جميع القضايا التي تحدث بمحضر أولادهم؛ لأنها تسجل في أذهانهم وتنعكس على سلوكهم.

حكاية رابعة

تقول إحدى النساء: أثناء الشروع بالخلاف مع زوجها أحياناً والذي فيه يضطرب نظام أسرتها، تعمد إلى إرسال أولادها إلى دار أمها حتى لا يكونوا حاضرين ما قد يحدث من حدة في الكلام أو تعبير يجب أن يبقى خافياً عليهم، لئلا يؤثر في نفوسهم تأثيراً سيئاً.

هذا العمل، عمل جيد إنصافاً، لما للخلافات ولو لساعة واحدة داخل محيط الأسرة من آثار لا تحمد عقباها في تكوين شخصية الأولاد.

الهوامش:

(١) وسائل الشيعة، ج٧، ص١٠.
(٢) لكسب معلومات أدق عليك بمراجعة مقالة الجمال، مقالة الحب والعبادة من كتاب "الفطرة" للشهيد مطهري.
(٣) وسائل الشيعة ج٧ ص٩ كتاب النكاح.
(٤) وسائل الشيعة ج٧ ص١١ كتاب النكاح.
(٥) وسائل الشيعة ج٧ ص١١.
(٦) من لا يحضره الفقيه ص٣٢٤ ــ الحديث الخامس.
(٧) هذه الرواية مع بعض التغيير والإضافة موجودة في ج١٠ من بحار الأنوار ص٢٤ ــ ٢٥ وقد ذكرت هذه الجملة مكان الجملة التي ذكرناها في المتن "سررت كثيراً لأن رسول الله (ص) عفا عن مشاركتي الرجال أعمالهم".
(٨) قال أمير المؤمنين (ع) كتب الله الجهاد على الرجال والنساء، فجهاد الرجل بذل ماله ونفسه حتى يقتل في سبيل الله، وجهاد المرأة حسن التبعل (وسائل الشيعة ج١١ ص١٥).

(٩) قال رسول الله (ص) أحسن نساء أمتي امرأة سلمت أمرها لمطالب زوجها حين رأته غضباناً وقالت له: "إن لم ترض عني لن يغمض لي جفن" بحار الأنوار ١٠٣.

(١٠) أصول الكافي ج٣، ص٣٧٣.

(١١) قال رسول الله (ص): "... وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من بيت يعمر بالنكاح، وما من شيء أبغض إلى الله عز وجل من بيت يخرب في الإسلام بالفرقة يعني الطلاق". (وسائل الشيعة ج١٤ ص٢٦٦).

(١٢) بحار الأنوار ج١٠٣، ص٢٣٨.

(١٣) نهج البلاغة فيض، ص٦٥٩، الخطبة ١٩٧.

الموضوع

المحبة والإيثار
اهمية الزواج في الإسلام

اسباب اهمية الزواج من منظار الاسلام

المحبة والإيثار

لقد أشرنا آنفاً إلى استحالة التوافق الأخلاقي الكامل بين شخصين، وهذا الأمر واضح بقدر مما حدا بالفلاسفة للقول:

"كل شخص يرى نفسه أولاً؛ يعني بلحاظ الأنا يختلف نظره للآخرين"، وبعبارة علمية يمكن أن يقال: الجنس الإنساني يتحدد بالفردية، فهوية كل إنسان تتفاوت مع هوية إنسان آخر تفاوتاً عظيماً، لذا لا ينتظر أن يتوافق الرجل والمرأة توافقاً أخلاقياً كاملاً.

يختلف الناس في تعاملهم على طول الزمان في أذواقهم وآمالهم؛ لذا يجب على من يروم تشكيل أسرة أن يلتفت إلى أن التوافق الكامل في محيط الأسرة مستحيل، وأن تحقق كل ما يصبو إليه هو خيال في خيال.

بعد أن بدا واضحاً لنا أننا لا يمكن أن نتجنب الاختلاف الذوقي ولا الاختلاف النفسي لابد لنا أن نتخذ التدابير اللازمة للحفاظ على تنظيم الأسرة تنظيماً يصون سلامتها بعيداً عن كل ما يعرقل سيرها نحو الأفضل.

فما هذه التدابير إذن؟

جواب هذا السؤال يكمن في مسائل أشرنا إليها في ما مضى؛ فالرجل والمرأة وباقي أفراد الأسرة الواحدة عليهم أن يتحلوا بالعفو والإيثار والتضحية منذ البداية لانطلاق مسيرة الأسرة.

والرجل أو رب الأسرة جدير بهذه الصفات أكثر من باقي أفراد الأسرة. وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الصفات "بالصفح" أي: غض النظر عن الانزلاقات والاشتباهات الجزئية.

كذلك قلنا، إذا تمكن رب الأسرة من قلوب من هم دونه، أعني إذا استقرت محبته وكلامه في قلوب زوجته وأبنائه؛ استوت له الأمور استواءً يساعده على إدارة وتدبير أمور المنزل على أحسن وجه.

الإيثار ودوره الفعال

أعزائي، يجب أن تضعوا على رأس الأمور أن على الإنسان دائماً أن يحسن الظن بالتفاته إلى النقاط الإيجابية والجيدة، لا يلتفت إلى كل ما يشده إلى ملاحقة المعايب والمثالب في غيره.

إذا ما نظر الإنسان بحسن نية إلى أعمال الأفراد الذين يحيون معه بلغ الكمال في حل مشكلاته ومعضلاته. وعلى العكس من ذلك فيما إذا كان سيئ النية فستكون حياته جحيماً وكذلك في الآخرة فيحتمل أن يحشر على هيئة أخرى غير الآدميين.

مثل الأفراد الذين يسيئون النظر ويعتمدون على خيالات واهية مثلهم كمثل الذباب الدائم البحث في المحيطات الملوثة، هؤلاء لا يمكن لهم أن يروا النقاط الإيجابية والأعمال الحسنة لزوجاتهم العاملات صباحاً ومساءً في غسل الملابس وتهيئة الأغذية ومداراة الطفل والاهتمام بنظافة المنزل، و...

ولا يخطر ببالهم أن يروا أعمال غيرهم إلاّ بمنظار ضيق.

وهؤلاء لا يتذوقون حتى العسل وليس لهم من دنياهم غير الصراخ والعويل والاعتراض.

ومثل هذا الإنسان حري به حسن الظن سواء كان في محيط الأسرة أو في كل محيط إسلامي.

فلابد أن يعفو عن الاشتباهات والأخطاء التي قد تصدر عن رفيقة عمره ويشكرها على حسن صنيعها، ليستمرا في طريق السرور مطمئنين.

إن من الأصول في حياة الإنسان حسن النية وبعد النظر.

فمن المسلم به أن كل إنسان فيه خصال طيبة تبعث على الرضا عنه والسرور به. ولو التفت كل زوج إلى زوجته ناظراً إلى هذه الخصال الحميدة والسجايا الكريمة وحدها لوجد فيها ما يسعد به أبداً.

وكذا الأمر في المجتمع الكبير، فنقاط القوة في النظام الإسلامي، كثيرة جداً، والخدمات الجليلة للثورة الإسلامية عظيمة، وهي لا تسمح بالانشغال في النواقص والأخطاء واحتسابها حجة لمخالفة النظام.

أما أعداء الإسلام فيغمضون أبصارهم عن النقاط الإيجابية والأعمال الحسنة للثورة ويمسكون بنقاط الضعف التنفيذية ليعملوا على تعظيمها وتكبيرها في أعين الناظرين.

إساءة الظن بأخيك المسلم

قال رسول الله (ص):

"أحسنوا ظنونكم بإخوانكم تغتنموا بها صفاء القلب ونقاء الطبع"(١).

كذلك ورد ورد في مصباح الشريعة ما معناه "إذا صادف ورأيت أخاك المسلم في عمل غير محمود أو عمل مكروه، كان عليك أن تحمل عمله هذا على سبعين محملاً.

وإذا لم تطمئن نفسك بعد حملك لأخيك على سبعين محملاً، فلم نفسك وازجرها لعدم قبولها محملاً واحداً من بين هذه السبعين، واستر عليه واعذره.

إذن عليك أن تلوم نفسك المضطربة هذه لأنها أحرى أن تلام"(٢).

فكل منا جدير بأن ينظر دائماً إلى محاسن وامتيازات المجتمع والأسرة والأصدقاء، ويحمل أعمالهم على محمل جيد غاضاً النظر عن الاشتباهات التي قد تصدر عنهم.

حسن الظن دلالة على صفاء القلب

عادة، تكون النظرة الحسنة وحسن الظن دلالة قوية على صفاء القلب الإنساني. فمن تنزه عن الرذيلة، وجاهد نفسه على هذا الطريق كان دائماً مطمئن النفس والخاطر حافظاً في الغالب توازنه الملحوظ.

ومثل هؤلاء الناس الأسوياء لا يمكن أن نراهم أصحاب خلافات ونزاعات في المنزل أو المجتمع ولا يتوقعون ممن سواهم أكثر مما هم عليه.

حسن الظن والنتائج الدنيوية

علينا أن لا نتوقع من المرأة عدم الخطأ، لأن الإنسان غير معصوم.

ويجب أن يعرف الرجل أنها لا يمكن أن تعمل طبق جميع آماله ورغباته، فإمكان الوقوع في الخطأ ومخالفة الآخرين أمران طبيعيان يستحيل حذفهما.

فعلى الرجل أن يغض النظر عن الاشتباهات الجزئية، ويكيل المديح للأعمال الحسنة التي تقوم بها المرأة من أجل ديمومة نظام الأسرة وقانونها.

وإذا عمل الإنسان على هذه الشاكلة، طابت دنياه، نأت عنه النزاعات والخلافات، وبدأ نشطاً فعالاً دائم الوقوف على قدميه، وحظي باحترام المجتمع والأسرة، ونجا من القلق والاضطراب، وازدادت محبته في النفوس، وسلم أولاده من الأمراض النفسية كالحسد، وعقد النقص وما إلى ذلك من الأمراض النفسية.

حسن النية والنتيجة الأخروية

إن أهم ما يصبو إليه الإنسان هو حسن العاقبة الذي يؤدي إلى السعادة التي وعد الله تعالى عباده الصالحين حين قال في محكم كتابه:

(ليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) سورة النور، الآية: ٢٢.

وعلى حد قول أمير المؤمنين (ع) ما مضمونه:

وإذا ما كانت الدنيا تطوق بسلاسلها الإنسان، وتجعل منه حافي القدمين سائراً على الأشواك في الصحراء، وهو راضٍ وسعيد ومطمئن البال على آخرته، فسوف يتحمل أكثر من ذلك ولن تكون الصعاب في الدنيا إلا مزيداً له على كسب الآخرة.

لقد علمنا الإسلام العزيز كيف نعفو.

فالصفح، يعني غض النظر عن الأخطاء والاشتباهات والتبعاد عن نسج الخيال وترك الإصرار على إشاعة المعايب والنواقص.

ومن الاستقامة رؤية محاسن الآخرين والثناء عليها ففي ذلك عمران الدنيا والآخرة.

وتجاوزنا عن مساوي الناس قد يكون وسيلة لتجاوز الله ــ تعالى ــ عن أعمالنا السيئة في يوم القيامة. وما أحرانا بغض النظر عن اشتباهات الناس ما دام سبباً لرحمة الله إياناً وتجاوزه عن عظيم سيئاتنا يوم الفزع الأكبر! ما أسعدنا حين يتجاوز الباري عن أعمالنا ولا يجرنا بسوء صنعنا إلى النار!!

وهذا هو أحد الامتيازات الأخروية للإنسان الكريم الذي يغض النظر عن سيئات الآخرين، وبالخصوص أسرته.

أعزائي، عليكم أن تستحضروا دائماً في أذهانكم الآية الشريفة صباحاً ومساءً وتفكروا بها جيداً لتعملوا بها لما لها من سعادة في الدنيا والآخرة، ويا حبذا لو كتبت هذه الآية الرحمانية بماء الذهب وأرفقت مع جهاز عرس بناتكم، ألا وهي:

(وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم).

أجل، هو كذلك. فليعفُ أحدكم عن الآخر ليعفو الله عن أخطائكم يوم القيامة.

لا تسيئوا الظن، ولا تنسجوا في الخيال.

تغاضوا عن اشتباهاتكم ولا سيما اشتباهات نسائكم وأهليكم، ليغض المولى ــ جل وعلا ــ عن عالم السيئات والخطيئات التي مارستموها يوم القيامة.

الرجل والمرأة أحدهما لباس للآخر

لقد وصف القرآن المجيد الرابطة بين الرجل وامرأته بعبارة جميلة ودقيقة جداً، فقال:

(هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

ويخلص التفسير لهذه الآية الشريفة إلى أن الرجل والمرأة يمكن لهما أن يقمعا خلافهما فيما بينهما، ويندثر دون أن يعلم به أحد من خارج محيط الأسرة.

وما أجدرهما بأن يذيعا شيئاً من خلافهما حتى لأبويهما، ليبقى سرورهما سالماً من عبث الآخرين!

إذن لا يحق للمرأة أن تنتقل الاختلافات المنزلية إلى أمها وأبيها وأقرب الناس إليها وكذا الرجل لا يمتلك هذا الحق.

طريقة حل الخلاف

ينبغي أن تلزم الاختلافات والنزاعات حدود البيت قدر الإمكان، وإذا وصل الأمر إلى حد لا يمكن معه كتمان الخلافات وجب على الزوجين أن يعملا على طبق ما جاء في القرآن المجيد:

(وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً) سورة النساء، الآية: ٣٥.

التحكيم، هذا الذي جاء به القرآن الكريم، يتم في وقت وصلت فيه الأمور إلى حد قد تتشتت عنده الأسرة الواحدة ولاح قرار الطلاق في الأفق.

عندما يصل الحال إلى هذه المرحلة، حينذاك يجب أن يجلس الطرفان وتطرح المسألة على بساط البحث في وجود حكمين من كلا الطرفين لوضع نهاية يخرج معها الجميع بالصلح والصفاء.

إذن، فقط يكون طرح الاختلافات والنزاعات خارج محيط المنزل في المراحل التي يحتمل فيها أن تصل إلى تفتيت أركان الأسرة وهدم نظامها، يتطرق الطرفان إلى قضية الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله، ولا يحق للزوجين أن يستعرضا ما بينهما من خلافات جزئية وإدخال الحكمية في موضوع صغير يمكن حله بشكل أو بآخر داخل المحيط الأسري.

نتيجة

ما يمكن أن نستفيده من الآية المباركة المذكورة آنفاً هو: إن المشاكل الداخلية لا يمكن إخراجها من حدود الأسرة بأي شكل من الأشكال؛ وضرورة إسداء النصح والوعظ، وترك المسائل التي يحتمل أن تؤدي إلى التباعد والجفاء.

وإذا لم نحصل على نتيجة حتمية، وخفنا الطلاق البغيض أدخلنا حكماً من أهله وآخر من أهلها لحل القضية سلمياً بعيداً عن الطلاق وما يجر من ويلات على المجتمع والأسرة.

وبناءً على هذا التعبير، فإن اللباس إذا تلوث بعث الإنسان نفسه على الخجل.

وهكذا نقاط الضعف في الرجل والمرأة إذا ذاعت في الناس بعثت صاحبها على الخجل شأنها شأن اللباس الملوث إذا ظهر به صاحبه في الناس خجل من تلوثه.

فعلى الرجل والمرأة ألا يذيعا خلافهما في الناس، فيبوءوا بالخجل منه. وعليهما أولاً أن يجتنبا الخلاف في المنزل ما استطاعا إلى ذلك سبيلاً.

وعليهما ألا يخرجاه من المنزل إذا حدث.

ويجب أن يسود العفو والصفح حياة الأسرة.

وعلى الزوجين أن يربيا نفسيهما على ألا يرى أحدهما من صاحبه غير الحسنات، ويتغاضى عن السيئات، ويصبر أحدهما على الآخر، ويحسن به الظن دائماً.

حديث لأحد العظماء

قال أحد العظماء: قد يغض الزوجان نظرهما عما يظهر من معايبهما في الأشهر الأولى من الزواج بدافع من اشتداد الرغبة النوعية التي تحجبهما عن رؤية غيرها.

خاصة إذا كان كل منهما يكن حباً شديداً للآخر مصداقاً لقول أمير المؤمنين (ع): "حب الشيء يعمي ويصم"(٣).

أما، بعد انقضاء العام الأول تنفتح الوجوه أكثر ليستعرض الواحد منهما نقاط ضعف الطرف الآخر مما يجر على برودة العلاقات الأسرية.

وأحياناً قد تجر إلى الطلاق والانفصال أو مماشاة الحال اضطراراً، وطبيعة، فإن الأولاد الذين يكبرون في منزل أو دار هكذا سيكونون معقدين أو عرضة للأمراض النفسية.

المحبة الفطرية للرجل والمرأة

من المسلم به أن الله ــ جلت أسماؤه ــ وطبق الفطرة الإلهية جعل المودة والرحمة والحب بين الرجل وامرأته، لكن بني آدم يوجهون أحياناً ضربة قاصمة لهذه المحبة والمودة بما يرتكبونه من أخطاء.

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) سورة الروم، الآية: ٢١.

يثبت الله المحبة في قلوب الناس إذا كانوا مترفعين عن سوء الظن، ورد القول، والتفوه بالكلمات النابية التي لا تليق.

وقد يؤدي الكلام النابي على قلته إلى ارتكاب ما عظم من الأخطاء، ويكون عاملاً مهماً في سحق المحبة التكوينية.

ولهذا أوصى الإسلام الرجال بإظهار المحبة لنسائهم، فقال رسول الإسلام (ص):

"قول الرجل لامرأته إني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً"(٤).

عليكم أن تضعوا سلوك أئمة الدين (ع) نصب أعينكم وتنتهجوا ما نهجوه من العفو والصفح طوال حياتهم.

فهذا الأمر يسهم بشكل جدي وأساسي في استحكام واستقرار نظام الأسرة وتربية الأبناء.

أنموذج من سلوك العظماء

كان المرحوم كاشف الغطاء ــ رضوان الله تعالى عليه ــ من كبار علماء ومراجع العالم الإسلامي في يوم من الأيام جالساً في محراب العبادة فمر به أحد المتسولين واقترب منه سائلاً إياه مقداراً من النقود، فلم يعطه، لأسباب يعرفها هو؛ فما كان من السائل إلا أن بصق في وجه المرحوم كاشف الغطاء.

وبعد هذا العمل الجريء قام ــ رضوان الله عليه ــ بالسير بين صفوف المصلين ليجمع مبالغ نقدية لهذا المتسول.

هذا هو نموذج للسائرين على نهج الأئمة المعصومين (ع)، لقد كان سلوكهم لا يقبل الشك والشبهة.

كذلك كان الإمام السجاد (ع) مثالاً حياً للعفو والصفح، يغض النظر فيه عن الكثير من اشتباهات وأخطاء وسيئات الناس، بل كان يفعل أحسن من ذلك، فيرد المسيئ بالإحسان إليه.

تذكير

أعزائي، رسخوا العفو في وجودكم ليكون ملكة لكم. تجاوزوا عن الأخطاء، غضوا الأنظار عن اشتباهات الآخرين، وأحسنوا الظن بهم.

ولا تكونوا كالذباب تسعون دوماً وراء نقاط الضعف تلوكونها بألسنتكم، بل عليكم أن تسعوا إلى كشف نقاط القوة واستعراض سلوك الآخرين الحسن، وخصوا بذلك بيوتاتكم.

فإذا صرتم هكذا لم يظهر خلاف، ولم يستعص حل مشكل.

والأهم من ذلك أن المولى ــ جل وعلا ــ يوم القيامة لن يفتح ما طوي من دفاتر أعمالكم وسيشطب بقلم العفو عن ذنوبكم.

أهمية الزواج في الإسلام

المنزل من الأماكن التي تتيح للإنسان حياة طيبة كريمة. وفيه يكتسب الرجل والمرأة كثيراً من الفضائل، ويجتنبا كثيراً من الرذائل. ولا نبالغ إذا قلنا إن المنزل كالجبهة يصنع الإنسان.

الزواج سنة رسول الله (ص)

إن شريعة الإسلام المقدسة أبدت عناية فائقة بالزواج فقال رسول الله فيه:

"ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله ــ عز وجل ــ من التزويج"(٥).

وكذلك وصلنا متواتراً قول أمير المؤمنين (ع).

"تزوجوا، فإن التزويج، سنة رسول الله (ص)، فإنه كان يقول: من كان يحب أن يتبع سنتي، فإن من سنتي التزويج"(٦).

لقد حث الإسلام الذكر والأنثى على الزواج المبكر وأكد أهميته، فقال الرسول الكريم (ص):

"النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني(٧) وأحسن البيوت تلك التي استقبلت الزوجين".

يجب ألا يمنع الفقر من الزواج

أكد الإسلام التزويج في كل مناسبة تسنح لهذا التوكيد، فقال تعالى:

(وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) سورة النور، الآية: ٣٢.

يعني أنه يجب ألا يكون الفقر سداً مانعاً لعملية الزواج، فما هذا إلاّ وسوسات شيطانية إذا صدقناها أسأنا الظن بالله تعالى.

وسوء الظن بالله من المحرمات.

لقد وعد المولى سبحانه وتعالى عباده أن يفتح أبواب الرزق لمن أراد الزواج وكان فقيراً. وقد قال أبو عبد الله (ع): "من ترك التزويج مخافة الفقر فقد أساء الظن بالله ــ عز وجل ــ إن الله تعالى يقول: "أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله"(٨).

مباهاة الرسول (ص) بالزواج

إن الزواج وحفظ نسل المسلمين لهو من دواعي فخر ومباهاة رسول الله (ص) وفيه قال:

"تناكحوا وتناسلوا فإني أباهي بكم يوم القيامة ولو بالسقط".

"تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم غدٍ في القيامة حتى إن السقط يجيء محبنطئاً على باب الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: لا أدخل حتى يدخل أبواي الجنة قبلي".

"تعلمون أني نبيكم، أتزوج، وآكل الغذاء اللذيذ وأخالط الناس، فمن رغب عن سنتي فليس مني"(٩).

عدم الموانع في طريق الزواج

لقد أزاح الإسلام عن طريق الزواج موانع وسدود مهمة، فأقرّ الإسلام قلّة المهر، والجهاز المنزلي.

وفي الحقيقة أننا من سلوك النبي الأكرم (ص) والأئمة الأطهار (ع) ومسلمي صدر الإسلام نفهم بوضوح كيف أزاحوا العراقيل عن جادة الزواج.

لقد نبذ الإسلام العظيم الأساطير فألمح الرسول (ص) إلى ذلك بما مضمونه:

"سحقت الخرافات تحت أقدام الإسلام"(١٠)؛ زواج الرسول (ص) وذهاب ابنته فاطمة الزهراء ــ سلام الله عليها ــ إلى بيت الزوجية كلها دلائل تشير إلى أن الإسلام حارب الخرافات والجاهلية معاً.

زواج الإمام علي أمير المؤمنين (ع)

جاء الإمام علي (ع) إلى رسول الله (ص) وبعد أن عرض في محضره أحاديث كثيرة قال: يا رسول الله، أنت ذخري وملاذي في الدنيا والآخرة، يا رسول الله؛ رغم محبتك لي وعنايتك زوجني امرأة آنس بها وتكون لي أهلاً.

يا رسول الله: جئت إليك أخطب ابنتك فاطمة. فأعقد لي عليها.

قالت أم سلمة: رأيت جبين رسول الله (ص) يتلألأ من شدة الفرح، بعدها تبسم بوجه أمير المؤمنين (ع) وقال له: يا أبا الحسن، هل لديك مهر فاطمة (ع) لأعقد لك عليها؟

فقال علي (ع): فداك أمي وأبي، وهل يخفى عليك أوضاعي وأنت تعلم أن لي سيفاً ودرعاً وجملاً واحداً أحمل عليه الماء. ولا غير هذه الأشياء عندي.

فقال رسول الله (ص): إنك غير مستغنٍ عن سيفك هذا، لأنك تريد جهاداً في سبيل الله، وتحارب به أعداء الله.

وأما الجمل، فتحمل عليه الماء لتروي به أشجار النخيل، وتحمل عليه متاعك في السفر. إني أزوجك فاطمة (ع) بدرعك هذا"(١١).

جهاز سيدة الإسلام الأولى

لقد كان جهاز فاطمة (ع) قميصاً واحداً قيمته سبعة دراهم، ونقاباً قيمته أربعة، وقماشاً من القطيفة أسود خيبرياً، وسريراً نسج بليف النخيل وسطه، وفراشين، وأربعة من المساند من جلود الطائف، وستارة واحدة من الصوف، وحصيراً من الخوص، رحى واحدة، وقدراً من البرونز، وقدحاً لشرب الماء صنع من الجلد، آنية خشبية لجمع اللبن، وقربة ماء، وإبريقاً طلي بالقير، وغطاءً أخضر لآنية، وإناءً خزفياً واحداً لشرب الماء(١٢).

عطية الزهراء البتول (ع)

عند طريقها إلى بيت علي (ع) وهي عروس تزف، صادفت فاطمة الزهراء (ع) امرأة محتاجة، فأعطتها ــ سلام الله عليها ــ لباس عرسها ولبست هي لباس المرأة المحتاجة، وبهذا اللباس البالي ذهبت إلى بيت زوجها.

وفي صبح اليوم التالي جاء رسول الله (ص) إلى بيتها فرآها بغير لباس عرسها، فقصت عليه ما حدث بالأمس، ففرح رسول الله (ص) حتى قال: "فدتك أمي وأبي يا ابنتي".

والتفت رسول الله (ص) إلى علي وقال له: "يا علي، إن فاطمة هذه هي كفؤ لك، ولم لم تكن لما وجدت من تكون كفؤاً لك. ثم قال لفاطمة الزهراء (ع): يا زهراء، إن علياً هذا هو كفؤ لك ولو لم يكن لما وجدت من يكون كفؤاً لك.

تقسيم الأعمال

ثم قال الرسول (ص): أعمال علي هي خارج المنزل، وأعمال فاطمة داخله.

وهنا قالت الزهراء (ع):

"لا يعلم ما داخلني من السرور إلى الله في هذا الأمر". لقد ابتهجت الزهراء (س) وكانت بهجتها تسع هذا العالم لأن الرسول (ص) أعفاها من العمل مع المحارم خارج بيتها.

مثال للزواج في صدر الإسلام

كان الزواج في صدر الإسلام يسيراً.

وإذ ذاك جاءت إلى الرسول (ص) امرأة وقالت له: "تزوجني يا رسول الله".

ولم يكن الرسول (ص) راغباً في ذلك، ولا في ردها بغير احسان إليها، فطأطأ رأسه إلى الأسفل، وإذا بأحد الأصحاب ينهض من الجمع يا رسول الله: إن كنت لا ترغب في زواجها فزوجنيها.

فرفع الرسول (ص) رأسه ونظر إليها وقال: ما تقولين؟

فقالت: نعم يا رسول الله (ص)، فقال الرسول للرجل: ما عندك؟

فأجاب: ليس لي إلا هذا القميص الذي يسترني.

فسأله النبي (ص): أتحفظ القرآن؟

فقال: احفظ منه سورة الواقعة.

فقال الرسول (ص) للمرأة: هل ترضين بسورة الواقعة تعليماً مهراً لك؟

فأجابت بنعم فقرأ الرسول (ص) خطبة العقد لهما وقال للرجل: لا أريد أن أراك إلاّ وماء الغسل يقطر من رأسك.

البدعة في أمر الزواج

لقد أزال الشرع المقدس الإسلامي عن طريق الزواج كل الموانع والعوائق التي تطرقنا إليها سلفاً، وكل بدعة يأتي بها الإنسان ويلصقها بالإسلام يجب أن يعطي الدليل عليها يوم القيامة، والمبتدع ومروج البدعة شريكان في الذنب.

لقد وكد الرسول الأكرم (ص) الزواج برفعه الموانع من طريقه (١٣).

الزواج نوع من أنواع الجهاد

للزواج أثر حسن في المجتمع والنسل الجديد فإدارة الزوجة البيت في نظر الإسلام جهاد في سبيل الله، ولهذا قال رسول الله (ص): جهاد المرأة حسن التبعل(١٤).

وكذا الأمر بالنسبة للرجل، فربوبية الأسرة ثوابها كبير وكما عبر المعصوم (ع):

"الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله".

ولقد جاء في الخبر ما مضمونه:

كل قطرة تسقط من غسل من بدن الرجل أو امرأته يبدلها الله بملك يستغفر لهما إلى يوم القيامة.

وقد رفعت الموانع والخرافات في ظل الجمهورية الإسلامية، فعلينا جميعاً ألا ندعها تعود إلينا منغصة حياتنا بكدرها وشرها الحاجب للنجاة من الآثام.

الحاجة إلى الزواج عضوية

عضوياً، يحتاج من يبلغ سن الرشد من فتى أو فتاة إلى الزواج، وإذا لم يبلغ حاجته اضطرب فكره وشعوره وبدنه، فظهر مجتمع مريض وفاسد.

طبقاً لأحكام التكوين الإلهي، عند العطش يشرب الماء، وإذا تحمل الإنسان وعانى مشقةً معاكسة للتكوين الإلهي بحركة هو يسعى لها، سوف يسلم أمره مجبوراً في النهاية ويتناول الماء أو يموت.

وهكذا الحاجة الفطرية إلى الولد، فهي في صميم الفتيات والفتيان إذا بلغوا سن الرشد.

فإذا عوملوا خلافاً للتكوين العضوي انجرفوا إلى شاطئ الفساد، وبذلك يفسد المجتمع.

وما نراه في المجتمعات المدعية بالرقي والحضارة من فساد هو ثمرة للعمل على خلاف الفطرة، إذ يجر الحرمان والابتذال الجسديان إلى الكآبة والشقاء والتوتر العصبي المدمر للطمأنينة والاستقرار.

أسباب أهمية الزواج من منظار إسلامي

ترجع أهمية الزواج في الإسلام إلى نقطتين:

١ ــ ارضاء الغريزة

فالزواج يفي بحاجة جسدية ماسة جداً وفاءً سليماً طاهراً مما يشين النفس ويتلف البدن. أي أنه يصون الإنسان نفساً وجسماً من مخاطر الكبت والابتذال الشهويين.

هذا الإنسان مثلما يحتاج للماء عند العطش وللغذاء عند الجوع ويحتاج للنكاح عند الشبق. والزواج هو السبيل لسد هذه الحاجة الأساسية الماسة، ولذا شرعه الإسلام بضوابط حكيمة تضمن سرور الزوجين ببعضهما وتحابهما الدائم.

٢ ــ التربية الإنسانية

إن السبب الثاني الذي أكد عليه الإسلام في تشكيل الأسرة وهو أمر مهم جداً ألا وهو التربية.

لقد بينا سابقاً أن جو الأسرة هو مكان حي للتربية تنشأ فيه النفوس الطيبة وتزدهر فيه المكارم، وتنزاح الرذائل، إذا يتعاون الزوجان البصيران على إظهار الخير والحق والجمال، ومحو الشر والباطل والقبح في بناء أسرة متحابة متماسكة.

وهذه الغاية تفرض علينا أن نعطل كثيراً من رغباتنا في البيت، لأن هذا التعطيل للرغبات وغض النظر عن بعض الاشتباهات في محيط الأسرة، ضروري جداً لتكوينها وتهذيبها.

وإذا ما صبرت المرأة وزوجها قربة إلى الله تعالى وتحمل أحدهما الآخر في سبيل الله، آتاهما الله أجراً وثواباً كبيراً وفي الخبر جاء ما مضمونه:

"من صبر على سوء خلق المرأة أعطاه الله ثواب أيوب في بلائه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها ثواب آسيا".

الهوامش:

(١) مصباح الشريعة، ص٣٨٠.
(٢) مصباح الشريعة، ص٣٨١.
(٣) ومن عشق شيئاً أغشى بصره (نهج البلاغة فيض، ص٣٣٠).
(٤) وسائل الشيعة، ج١٤، ص١٠.
(٥) وسائل الشيعة: ج١٤، صفحة٣.
(٦) وسائل الشيعة: ج١٤، صفحة٤.
(٧) وسائل الشيعة: ج١٤، صفحة٤.
(٨) من لا يحضره الفقيه.
(٩) بحار الأنوار: ج٢٢، ص١٢٤.
(١٠) بحار الأنوار: ج٣، ص١٢٦ ــ ١٢٧.
(١١) وسائل الشيعة: مجلد١٤، ص٣.
(١٢) راجع بحار الأنوار: ج٤٣، باب تزويج فاطمة الزهراء (ع).
(١٣) قال رسول الله (ص): "أكثر أهل النار العزاب".
(١٤) وسائل الشيعة: ج١١، ص١٥.

الموضوع

نعمة الوجود الأسري وآثاره
المحيط الأسري مكان للتربية والبناء
صورة واحدة عن جواز الغيبة

نعمة الوجود الأسري وآثاره

لقد استفدنا جيداً من البحث السالف أن محيط الأسرة وهو مدرسة بحق، مدرسة قيمة وتربوية، في حال التفات الإنسان إلى هذا الأمر الجليل والاستفادة من الفرصة في التسلط على مسألة كظم الغيظ والظهور بأخلاق فاضلة، والتمكن من بناء أنفسنا والآخرين.

بناء النفس وبناء الآخرين

اعلموا أن من الواجبات التي أكدها الإسلام بناء النفس الذي لا يكمل إلا بالمشاركة الجادة في بناء النفوس الأخرى بعد هدم ما فيها من آثار جاهلية، لتتمكن قيم الإسلام وآدابه من الاستقرار والنمو فيها.

ولابد أن نباشر هذا البناء في الأسرة قبل مباشرته في المجتمع، فإن الناس يتأثرون بالأفعال أكثر من تأثرهم بالأقوال، وبما يرون أكثر من تأثرهم بما يسمعون، ويتعاطفون مع القريب أكثر من تعاطفهم مع الغريب.

وهذا ما نبهت عليه الآية المباركة: **(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) سورة التحريم، الآية: ٦.**

فقد دعا الرحمن الرحيم ــ عز اسمه الكريم ــ إلى وقاية النفس فالأهل قبل غيرهم. ومما يشهد لتقديم الأسرة في التبشير بالثواب والإنذار بالعقاب قوله تعالى: **(وأنذر عشيرتك الأقربين) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.**

يعني، إن بناء المجتمع الإسلامي أساسه أن تبني الأسرة أولاً.

ومن جملة وظائف الرجل الجليلة أن يربي نفسه بردعها عما يخالف الدين والعرف وبناء زوجته ذلك البناء، ليتمكنا بعدئذ من تربية الأبناء على ما يريدان من الإيمان والاستقامة.

ويؤكد علماء النفس أن للتكرار أثراً فاعلاً في التوعية والتهذيب، ولا سيما إذا اقترن بالفعل. فإذا دعا الرجل امرأته إلى الصلاة في أوقاتها وهو يفعل ذلك، تأثرت به واقتفت ما يفعل، وربما أصبحت من الخاشعين.

ولو كلم الرجل أهله وولده كلاماً ليناً، لسمعوا له فيما دعاهم إليه وفعلوا فعله.

وهذا يتحقق بالفطنة والمعرفة ورحابة الصدر والرحمة وغض النظر عن الاشتباهات الجزئية والتسلط على الغضب. ولتعلموا أنه لا يوجد محيط أحسن من الأسرة بناءً وتربية صحيحة للنفس وللأبناء من حيث تكوين الشخصية المعنوية الناجحة.

لقد أشرنا سابقاً إلى تربية النفس على العمل الصالح والحسن ومن خلاله يتمكن الرجل من جر أخلاق المرأة إلى أخلاقه؛ هذا في حالة ما إذا طابقت أخلاقنا وسلوكنا معايير وموازين الشرع الإسلامي المقدس.

الأسرة مكان لبناء الشخصية الإنسانية:

الأسرة خير مكان للتكامل الإنساني والسلوك الحسن.

هذا إذا ما كنا مصرين على تكرار النصح وابداء الموعظة الحسنة فالادراك السليم والإرشاد القويم والصبر على طول الطريق، وبعد الغاية المقدسة هي دواعي الفوز بأسرة مسلمة يعين بعضها بعضها الآخر على بلوغ رضوان الله ــ تعالى ــ الذي هو أغلى ما يطمح إليه الإنسان الصالح في هذه الدنيا الزائلة.

ودلت التجارب العلمية قديما وحديثاً أن الأبناء يرثون ما في الآباء من طباع وسجايا.

حكاية الأصمعي

كان الأصمعي رجلاً متمكناً للمأمون ينقل لنا: "خرجت يوماً إلى الصيد، فضللت الطريق في صحراء لا ماء فيها ولا كلأ، قد أخذ مني العطش مأخذه، حينها شاهدت خيمة وسط الصحراء، ذهبت إليها، فإذا بفتاة جالسة في الخيمة، سلمت عليها وطلبت شربة ماء منها، فتغير لونها وقالت: في الخيمة ماء وليس لي أن أعطيك منه، ولكن عندي مقدار من اللبن للغداء، يمكنني أن أعطيكه.

ناولتني اللبن، لم يمض وقت طويل حتى ظهرت سوادة من بعيد، وعندها انتبهت المرأة لهذا الأمر فإذا بها تحمل إناء الماء وتقف خارج الخيمة لتنتظر القادم، لقد كان رجلاً عجوزاً ضعيف البنية أسود، كان زوجها، جاء على بعير له.

استقبلت المرأة زوجها هذا، ظاهرة له الاجلال والاحترام بعدها شرعت بغسل أقدامه، وكانت تتودد له بشكل يثير الدهشة.

وكلما أبدت المرأة من الأدب والأخلاق الفاضلة له، أجابها الزوج بسوء الخلق، وعكس تعبه سلباً على معاملته معها.

وما لاطفته، إلا ازداد حدة وخشونة.

فلم أتحمل هذا المنظر العجيب.

وخرجت من الخيمة أتحمل لفح الشمس تفضيلاً على مشاهدة سلوك ذلك الرجل الفج إزاء سلوك زوجته الطيب.

ولم يلتفت إلي الرجل ولم يعرني أية أهمية ولكن زوجته شيعتني احتراماً، حينها قلت لها: لأي شيء ارتبطت بهذا الرجل العجوز الذي ليس له من الدنيا لا ما ل ولا جمال ولا أخلاق على الرغم من أنك شابة جميلة، وذات خلق؟

لماذا تتواضعين له بهذه الكيفية؟

ولم كل هذا الاحترام الفائق؟

تعجبت المرأة حين سمعت ما قلت لها وقالت: "إني آسفة على أن تتحدث مثل هذا الحديث. تريد أن تخرج محبة زوجي من قلبي وأنت وزير الدولة الإسلامية.

لماذا أنت هكذا تتلاعب بالكلمات؟!

قال الأصمعي: لقد القمتني حجراً هذه المرأة، ووقفت إزاءها والحيرة تعلوني فقلت: "لقد سمعت عن رسول الله (ص) رواية، وأحب أن أعمل بها حتى أخرج من الدنيا وأنا كامل الإيمان، والرواية هي ما قاله الرسول (ص)"

"الإيمان نصفه الشكر ونصفه الصبر".

بعدها أضاف قائلاً: "تمضي الأيام إلى أجلها، بالحسن والسيئ، بحلوها ومرها؛ ولكن المهم في الأمر أن يخرج الإنسان من هذه الدنيا وهو مؤمن، لأن الدنيا جسر يوصل إلى الآخرة، والذي يبقى أبداً هو محل الاستقرار، الذي يطلق عليه بالآخرة؛ هنا مكان الموت والذهاب، وهناك مكان الاستقرار والثبات والخلود.

تذكير

بناءً على هذا، علينا أن نسلك طريقاً يمكن معه أن نبني ونربي أنفسنا، مستفيدين من كل فرصة تساعدنا على بلوغ الكمال الإيماني، واستثمار باقي الفرص بالتفكير بالأسباب التي توصل إلى الطريق؛ الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

الحياة الخالدة والحقيقة هي التي تبدأ عند نهاية هذه الدنيا وليلة القبر الأولى هي فاتحتها.

الفلسفة الكبرى للزواج هي تهذيب النفس

يستلزم الحفاظ على نظام الأسرة وقانونها السعي من كلا الطرفين الزوج والزوجة لايصال الأسرة إلى الرقي والكمال، بالتعامل المؤسس على "الصبر" و"الشكر" اللذين هما ركنا الإيمان.

وليس في الشرع المقدس الإسلامي إشكال في تشكيل الأسرة فقط من أجل إرضاء الغرائز الجنسية، لأن هذه المسألة تدخل جزئياً ضمن فلسفة الزواج ولقد أوجب الإسلام الزواج على الفتيات والفتيان البالغين سن الرشد لضمان العفة في المجتمع البشري. ويتجاوز هذه الحدود إلى أهم من ذلك، إذ يتابع الزوجين بعد الزواج وتشكيل الأسرة داعياً إياهما إلى "تهذيب النفس"، لأن محيط الأسرة من أحسن الأماكن التي يمكن أن يتربى بها الإنسان وصولاً إلى الكمال.

وفي حالة عدم استفادتنا من هذا المبدأ القيم الذي يبعث على الحياة ويبني الإنسان السوي أو نخاتل في تنفيذ برامجه، لا ينبغي بنا أن نرمي باللائمة على الشارع المقدس الإسلامي بل علينا أن نلوم أنفسنا لما مارسناه من عوامل مختلفة تبعث على تفتيت وحدة الأسرة واضطراب نظمها.

وما فعلنا ذلك إلا لبعدنا عن دستور الشارع المقدس.

ولو استقمنا لاستقامت أزواجنا وذرياتنا وعشنا جميعاً في سرور ومحبةً، غير أن غفلتنا هي التي قادتنا إلى هذا التمزق والضياع الذي لا ينتهي بخسراننا الكرامة بين الناس، بل يجرنا إلى عذاب البرزخ والقيامة الذي يبدأ بضغطة القبر التي لا يعلم هولها إلا الله.

شكر النعم:

قال الله تبارك وتعالى:

(لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

إن شكر النعمة لا يمكن أن نختصره بالقول فقط، فعندما يسعفنا الحظ بكمية من النقود مثلاً نشكر المولى لساناً؛ وليس هذا سوى جزء من الشكر الكامل.

والشكر الكامل هو أن نعرف قدر ما أنعم الله علينا، ونضعه في موضعه، وأدنى مواضع النعم ألا نستعملها في عصيان الله تعالى.

التشكر على نعمة الأسرة الكبيرة

ويجب أن تعلموا أيها الأعزاء أن أفضل النعم وأحسنها للرجل والمرأة على السواء هي نعمة "الأسرة"، فلا ينبغي للإنسان حين يتزوج أو حين يرتب بيتاً أسرياً أن يغفل عن ذكر الله، أجل يجب أن يبقى نظام الأسرة وقانونها مدرسة سامية يرقى إليها ويتربى في آفاقها كل عضو من أعضاء هذه الأسرة. وإذا ما تنكر الإنسان لهذه النعمة الإلهية ولم يستفد منها بالشكل الصحيح حل عليه معنى الآية الشريفة: **(إن عذابي لشديد)**.

وعذاب الله لشديد في الدنيا والآخرة.

محيط المنزل، مكان الرحمة

لقد خلق الله الرجل للمرأة والمرأة للرجل ليتحابا ويسكن أحدهما إلى الآخر، ويحظوا بالاطمئنان وراحة البال بالتنفيذ العملي للنظام الأسري الصحيح الذي رسمته رسالة الإسلام لإحلال الطمأنينة وإزالة القلق.

فكل سلوك يبعث الأسرة على الاضطراب والقلق هو نوع من أنواع الكفر بالنعمة.

أعزائي، لتعلموا أن الرحمة والمودة والرأفة أمور دقيقة جداً ورقيقة مثلها كمثل الزجاج الشفاف إذ تكفي كلمة مَنٍّ أو أذى لهدم قصر المحبة لعدة سنين. وقد تخرج كلمة في غير موقعها، فتهدم سعادة أسرة بأكملها.

وقد يؤدي سوء الظن إلى زعزعة الثقة وقطع أواصر المحبة بين أفراد الأسرة، فينفرط جمعها.

نتيجة الكفر بنعمة الأسرة

إن المنزل الذي لقي سوء الظن وعدم الوثوق والاعتماد طريقاً إليه من كلا الطرفين الزوج والزوجة لا يمكن أبداً أن يكون جديراً بنزول البركات والرحمة الإلهية عليه، بل ستتساقط عليه أمطار غضب الله، ويتبدل الأمن والأمان والهدوء فيه إلى مركز للأمراض النفسية المختلفة؛ هذا العذاب الإلهي سوف ينزل على أثر الكفر بالنعمة.

ولا يوجد عذاب أكثر من عذاب اليأس والاختلاف والخمول حينما يصبح مثل هكذا عذاب حاكماً ومهيمناً على الأسرة، وهو مصداق لـــ"إن عذابي لشديد".

عاقبة الكفر بنعمة الأسرة

إن أكبر المشاكل تبرز لمن ينتمون إلى أسر تذوق العذاب قبل الموت وبعده، فالمرأة السيئة الخلق والرجل السيئ الخلق يتعرض إلى ضغطة القبر، فقبيح الكلام وذو اللسان الوضيع من زوجة أو زوج يتجسم لهما في عالم البرزخ صور على هيئة أفعى، أو عقرب ليملأ عليهما القبر ويبقى ملازماً لهما يشكو أحدهما للآخر همه حتى يوم القيامة.

للقرآن تعبير تصويري يقول:

(ولهم مقامع من حديد) سورة الحج، الآية: ٢١.

هذه المقامع الحديدية التي تلتهب ناراً نسلمها نحن ليد الملائكة بأعمالنا.

هذه المقامع عندما تهوي على رأس الإنسان تذهب به إلى أسفل سافلين آلاف السنين لشدة الضربة، وقد تعرض القرآن الكريم لهذه المسألة حين قال سبحانه وتعالى فيه:

(كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) سورة الحج. الآية.

يذوقون عذاب الحريق، ويذوقون الزقوم(١) نتيجة حتمية لأعمالهم وسلوكهم المنحرف؛ فالرجل أو المرأة من ساء خلقه في محيط الأسرة وبدل حلاوة العشرة بمرارة الزجر والعناد، في الواقع يبذر بذور الزقوم، بذور الماء الذي يغلي في جهنم والمسمى بالحميم؛ وهذا كله نتيجة وعاقبة للأعمال والسلوك غير السوي.

(ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢.

عندما يتعامل الرجل ببرود في المحيط الأسري غرضه من ذلك إلهاب النار في قلب زوجته مقصرة كانت أو غير مقصرة، يأتي يوم القيامة ليشرب من الحميم وسط النيران الجهنمية وعلى قدر ما عمل من أعمال سيئة وسلوك متدنٍّ لإلهاب قلب زوجته يحرقه الله بناره التي ما بعدها نار.

أجل، إذا كانت الزوجة متقاعسة في أداء أعمالها يمكن للرجل أن يعاملها بطريقة حددها الشارع الإسلامي المقدس من موعظة حسنة وهجر و... وما إلى ذلك.

ولا يجوز للزوج أن يلهب قلب زوجته بحجة التقصير أو القصور في الأعمال المنزلية، وإن فعل ذلك فإنه سوف يكره على انتخاب عذاب ينتظره شديد.

تآزر الزوجين

تتمثل مساعدة الرجل زوجته في أمور المنزل في العالم الآخر بصورة "حور العين" التي يطلق عليها البعض بالنعم الإلهية، لذا كان على الرجل أن لا يترك امرأته لوحدها تتحمل عبء الأمور المنزلية، الجدير بالذكر هنا أن المرأة ينبغي لها أن تؤدي وظائفها المنزلية على أكمل وجه من قبيل إدارة المنزل.

أجل إن كسب رضاية المولى ــ جل وعلا ــ ودخول الجنة وإدخال السرور على قلوب الأئمة الأطهار (ع) مشروط بالتعاون بين الزوج والزوجة وتحملهما للشدائد والسعي لكل منهما في أن يحمل أحدهما حمل الآخر.

ونقرأ في الروايات: إذا ما جمعت المرأة مائدة الطعام أو بسطت أخرى نظر الله سبحانه وتعالى إليها نظرة رحيمة، وحرم عليها نار جهنم وفتح لها أبواب الجنان ولم يتعرض أحد لها بقول حاد.

الإمام علي (ع) ومساعدته في أمور المنزل

في رواية عن الرسول الأكرم (ص) مضمونها أنه جاء إلى دار عليّ (ع) فرآه مشغولا بتنظيف عدس له فقال له (ص): "إذا ساعد الرجل زوجته في أمور المنزل، رضى الله عنه، ونظر إلي نظرة رحيمة وأوجب له الجنة".

كذلك الشخص الذي لا يغيب الله عن ذهنه ولا يغفل عن ذكر الله، ويعمل جاهداً ساعياً ما في الوسع لترتيب الوضع المنزلي بشكل يحفظ للأسرة وضعاً طبيعياً في المأكل والمشرب والملبس مثله كمثل المجاهد في سبيل الله، حتى جاء في الحديث الشريف:

"الكاد على عياله كالمتشحط بدمه في سبيل الله".

رواية عن النبي محمد (ص)

عن الرسول الأكرم (ص) أنه قال: رأيت ليلة عرج بي إلى السماء السابعة ملائكة يعملون في بناء قصر ساعة ويتوقفون أخرى، فسألت جبرئيل عن السبب في ذلك.

فقال: إن لبنات هذا القصر تأتينا من الدنيا.

عنى بذلك الأعمال الصالحة للإنسان هي اللبنات التي تبنى بها القصور وكذلك باقي النعم في الجنة.

وعلى سبيل المثال: تملك "حور العين" قباله الخدمات التي يقدمها الرجل إلى زوجته، وخدمة الناس يبدلها الله يوم القيامة بقصور وغرف، والصلاة وباقي العبادات تتبدل بـــ:

(جنات تجري من تحتها الأنهار) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

تحدث نفر إلى رسول الله (ص) فقال: إن لنا في الآخرة منازل وحوراً عيناً ونعماً أخرى كثيرة.

فقال رسول الله (ص): لكم هذا ولكن عليكم أن لا تبعثوها إلى جهنم فتفسدوها بالنار.

عنى بذلك (ص) "لا تحرقوا أعمالكم الصالحة بالذنوب التي تحرقها فتضيع عليكم).

مثال:

إذا عمل رجل من الصباح إلى المساء عملاً مضنياً، ورجع إلى منزله عبوساً مكفهراً. لم يكن لعمله قيمة، ولا يحتسب جهاداً في سبيل الله.

فلا تكونوا عبوسين في منازلكم، ولا تدخلوها والغم والهم باد عليكم، فمثلما تعملون خارج المنزل وتبذلون جهوداً مضنية لكم تتعب زوجاتكم في تهيئة ما يسركم إذا عدتم إليهنّ تعبين.

فلا تؤذوهن بعبوسكم وما لا يليق بكم من فعل أو كلام غير مناسب.

اسعوا أن تدخلوا بيوتكم بوجه طليق وقول كريم، حتى تسرّ بكم نساؤكم وتزداد لكم وداً، فيزول ما بكم وبهن من النصب.

اطلب منكم أعزائي أن تعطوا هذه الدروس والبحوث أهمية خاصة، وتبدلوا الكلمات بالعمل طبق الموازين الشرعية الإسلامية ونصائح الأئمة المعصومين (ع)؛ اشتروا لأنفسكم الجنة وهيئوا لأنفسكم نِعَم الجنة، فالدنيا يومان ماضيان، والذي يخلد ويبقى هو العمل الصالح والسلوك الطيب؛ فالأعمال تتجسد في البرزخ والقيامة وتبقى معكم جليساً وقريناً، فاحذروا ذلك.

المحيط الأسري مكان للتربية والبناء

المحيط الأسري مكان، وموقع متقدم تربوي ينبغي لنا أن لا نضيعه من أيدينا وهو مصداق للحديث الذي يقول:

"ألا أن في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها".

هذه النفحات هي من أجل بناء أنفسنا وبناء أولادنا، فيجب أن نسعى جاهدين لنيل ما نرقى به إلى خلافة الله ــ تعالى ــ في أرضه التي غمرها بالخيرات حباً لنا ورحمة.

ثمرة النصح العملي

يمكن للرجل أن ينجز أعماله على أكمل وجه برحابة صدر، فبالموعظة الحسنة والنصح العاطفي يمكن أن تتأثر المرأة سريعاً وتنقاد إذا أحسن إليها وخوطبت خطاباً ليناً.

وإذا كانت هذه النصيحة مقرونة بالعمل كان لها آثار إيجابية بنّاءة ضعف ما نحصل عليه في إبداء النصيحة باللسان فقط.

ومثلاً نتطرق له هنا، إن الرجل، رب الأسرة عندما يكون متهجداً قائماً ليله، سوف تماثله زوجته في عمله هذا وستقع تحت تأثير هذا العمل الصالح، فتكون من اللواتي يقمن الليل تهجداً.

تأثير المرأة بسلوك الرجل

إذا استنكر الزوج الغيبة على زوجته وردها عنها بلطف حكيم وبيان رحيم، فتحت قلبها لنصحه وتأثرت بفعله.

وكان ذلك مدعاة لطهارة الأسرة من هذا الوباء.

وإذا كان الرجل غير صادق في تعامله، محتالاً، ماكراً كانت زوجته كذلك، حتى لو كانت من الصادقات قبل اقترانها به.

وكذلك إذا ما كانت البنت تأتم بأبيها في صلاتها أول الوقت فستكبر طاهرة نقية، ولكن الزوجة التي ترى زوجها لا يعير أية أهمية للصلاة أو باقي العبادات، لا يمضي وقت طويل حتى تتصبغ بنفس اللون الذي عليه زوجها.

وكذلك في الغالب تتصبغ بباقي القضايا التي عليها رب الأسرة، وإذا رأت المرأة من زوجها عفة ازدادت عفة، وإذا رأت منه عدم الالتزام ــ لا سمح الله ــ بالعفة أو بغيرها تبعته في سلوكه المنحرف.

وقد أيدت التجارب ما دعانا إليه القرآن الكريم وأهل البيت، فما من امرأة تزوجت مؤمناً رشيداً إلاّ التزمت مبادئ الشريعة وأخلاقها.

وعلى العكس من ذلك تتدنى وتنحط أخلاق الفتيات العفيفات اللائي يرتبطن بأسر وضيعة لا تعير أهمية للمقاييس الإسلامية ولا تلتفت إلى حلال الله وحرامه.

ضرورة الصدق في الأسرة

هكذا، ترد أعمال وأفعال الرجل والمرأة في الدنيا والآخرة ويضيق بهم المجتمع ذرعاً إذا لم يتعاملا بصدق وعاطفة في المحيط الأسري.

وإذا كان الزوج قليل التعاطف مع زوجته فقدت عاطفتها نحوه، وانجرت لما يكرهه.

عليكم أن تسعوا حثيثاً بالابتعاد عن الكذب، حتى لو كان لمصلحة.

صورة واحدة عن جواز الغيبة

جاء في حكاية أن شخصاً ذهب إلى الرسول محمد (ص) وقال له: "يا رسول الله إن جاري يؤذيني فقال له: اصبر، الجال الصالح ليس فقط ذلك الذي لا يؤذي جاره، بل الجار الصالح ذاك الذي يصبر على أذى جاره".

وشكا ذلك الرجل جاره إلى الرسول (ص) ثانية فأمره بالصبر وبشره بالأجر.

وشكاه إليه ثالثة، فأجاز له أن يشكوه وقال له: إذا كان يوم الجمعة، أخرج ما في دارك من متاع واطرحه خارجاً، واجلس زوجتك وأبناءك عليه لأن يوم الجمعة يغص بالمارة من الناس أكثر من بقية الأيام، وإذا سؤلت عن السبب فقل: "آه من ظلم الجار".

وعمل الرجل ذلك، فعرف الجار المؤذي أنه يشكوه، فأسرع إليه يسترضيه نادماً وبهذه الطريقة آل أمر الجار إلى الصلاح.

جاء في القرآن المجيد:

(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً) سورة النساء، الآية: ١٤٨.

تفسير الإمام الخميني (رض) لحديث نبوي

جاء عن النبي الأكرم (ص) أنه قال:

"اجتنبوا الغيبة فإنها آدام كلاب النار". فسر أستاذنا الكبير قائد الثورة العظيم هذه الرواية بأن المغتاب كثيراً تتغير ملامحه فيكون على هيئة كلب يقاد إلى جهنم؛ وتتبدل الغيبة التي مارسها في الدنيا إلى قيح ودم ولحم متعفن يوم القيامة يغذى منه، فإذا تناوله تقطعت أمعاؤه قطعاً صغيرة تشتعل ناراً.

معنى الغيبة

سئل رسول الله (ص) عن الغيبة فأجاب: الغيبة كشف العورة المستورة في ظهر أخيك المسلم.

وهذا الذنب من الكبائر التي وعد مرتكبه بنار جهنم والماء الحميم.

ومن المأسوف عليه أن الغيبة أصبحت زينة مجالسنا على الرغم من معرفة العقاب عليها.

حقيقة الغيبة وحدها

قالت عائشة يوماً لرسول الله (ص): "إن فلاناً قصير".

فتغير لونه (ص) تغيراً مفاجئاً وقال: "يا عائشة لماذا اغتبت فلاناً؟ انهضي واستفرغي ما في جوفك".

وعندما استفرغت خرج مع ما خرج من جوفها لحم متعفن؛ فتعجبت! وقالت: "يا رسول الله (ص)، ما أكلت لحماً! قال رسول الله (ص): ألم تقرأي القرآن حين يقول(٢):

(ولا يغتب بعضكم بعضاً، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

فلا يختلف المغتابون عن أكلة الأموات.

تأثر الأسرة بالغيبة

إخواني الأعزاء، لا تغتابوا لكي لا يتلوث محيط الأسرة بهذا الذنب، فإن الزوج والأبناء يعتقدون برب الأسرة فيما يفعل ويقول.

ومما يشهد لذلك ما شاع بين الناس من أن فعل الولد هو فعل أبيه.

فالأبناء عندما يرحبون بك بحرارة، اعلم أن الأب والأم يودونك، وإذا ما كان عكس ذلك، فاعلم أن أباهم وأمهم لا يودونك، بل يتظاهرون بالتودد إليك.

ذنب الوالدين المضاعف

هكذا كررنا وأكدنا لمرات أن محيط الأسرة مدرسة، لذا فإن وظيفة الرجال بحق أبنائهم هي تربيتهم في هذه المدرسة، وإذا نشأ الابن بسبب أعمالكم كاذباً، مغتاباً، مرتكباً لقبائح أخرى، فإن آثامه تسجل في سجل أعمالكم أيضاً مصداقاً للحديث القائل:

"من سن سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنة سنة سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء".

فإذا عمل الأبناء أعمالاً من مثل الغيبة وقول الكذب، فسيحظى الآباء والأمهات بنفس العذاب المكتوب على أبنائهم يوم القيامة.

التقليد عند الأطفال

إن دماغ الأطفال يشبه إلى حدٍ ما آلة التصوير، فيرسم كل ما يواجهه فمن المستحب أن يؤذن في أذن الطفل الرضيع اليمنى، ويقام في أذنه اليسرى حتى يتأثر من يوم ولادته بالتكبير والتهليل ليتعرف التوحيد، وبالشهادتين ليتعرف النبوة والولاية لأهل البيت عليهم السلام.

الهوامش:

(١) الزقوم شجرة تنمو في قعر جهنم، وهي طعام المجرمين، وحينما يتناول المذنبون من شجرة الزقوم يبدأ بالغليان ما في بطونهم ويلتهب ناراً.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٥٦.

الموضوع

حسن السلوك

الوفاء

تعدد الزوجات

حسن السلوك

سبق أن أشرنا أن الإيثار والفداء والتضحية من الوظائف الكبرى للرجل والمرأة في المنزل.

وإذا فقدت هذه الصفات في محيط الأسرة فقدت معناها.

وقلنا: يجب أن يحسن الزوجان التعامل فيما بينهما، فإنه يقوي أواصر المحبة والألفة، وييسر للأبناء التربية الصالحة، فضلاً عن ثوابه في الآخرة.

الصغار الكبار

في علم النفس بحث عنوانه "الصغار الكبار"، القصد منه أن الإنسان ينظر أحياناً إلى مسألة يعدها صغيرة وحقيرة وهي كبيرة جداً من منظار معنوي وواقعي.

فقد يرى أحدهم أنه لا مانع من مواجهة الناس بلباس النوم أو لباس غير نظيف ولا مرتب.

هذا رأي شنيع لما يترتب عليه من سخرية من المؤمنين وتقليل شأنهم وابتعاد الناس عنهم وعدم السماع لهم.

وهكذا تنشأ كبار الأمور من صغارها.

تخصيص وقت معين للزوجة

قد ينظر الإنسان إلى قول أو فعل في أسرته على أنه تافه ولا يؤثر فيمن يسمعه أو يراه، فيرتكبه في كل وقت ومكان غير دار إنه يعمل في نفوس متعلقيه كما يفعل السوس في الطعام.

فتخصيص ساعة من وقته بملاطفة زوجته وإكرامها بالتسرية عنها ومحادثتها في مختلف الشؤون يزيدها نشاطاً ومحبة وسروراً يضيء البيت ويؤلف القلوب، ويكشف عنها أعباء الحياة وأكدارها.

مطالب الزوجة

على الرجل في البيت أن يستمع إلى زوجته بصدر رحب وذهن منفتح ملتفتاً إلى مطالبها المادية والمعنوية.

وإذا لم تعجبه طريقة حديثها أو تحدثت الزوجة بكلام غير معقول، فمن وظائفه أن يستمع لحديثها ابتداءً، ويصغي لما تقول إرضاءً لله تعالى واحتراماً لشخصها كزوجة، فإن له عند الله بذلك ثواباً عظيماً، لأنه تخلق بأخلاق الله استحق الأجر والثواب.

مشورة الزوجة والأبناء

يجب على الرجل أن يخصص مقداراً من وقته لزوجته وأولاده، يجلس معهم ويتحدث إليهم، ويتحاور معهم في حل المعضلات والمشاكل، ويشاورهم في ذلك.

(وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

وإنما أمر بالمشاورة لأنها تكسب الآخرين ثقة بأنفسهم. والاستبداد بالرأي، وعدم الحساب لذهنية الزوجة يدخل في نطاق الاشتباه، الذي يؤدي إلى مخاطر تأتي على مصير الأسرة، وكما قلنا حتى إذا كان حديث الزوجة طفولياً وغير معقول يجب الإنصات له.

يعتقد بعض علماء النفس أن الأبناء كذلك ينبغي مشاورتهم، والقصد من ذلك هو احترام أفكارهم وعقائدهم وإدخالهم ضمن الحسابات.

وبقول آخر، المنزل بلد صغير يجب أن تصوب أعماله بالاستشارة، وطرح مشكلات هذا البلد الصغير على أهله وإعلامهم اطلاعاً على هذه المشكلات.

إيجابية الاستشارة

إذا تمكن الأبناء والزوجة فتح صدورهم بعضهم لبعض يتحدثون ويتحاورون فيما ألم ويلم بهم، لن يصابوا بالعقد النفسية والأمراض العصبية، ووظيفة رب الأسرة في هذا الأمر أن يجيب عن أسئلتهم ومشاكلهم بأخلاق حسنة ولسان ذلق. لأن الاستبداد بالرأي وتحميل أفكاره بالقوة وفرضها على الزوجة والأولاد خطأ فاحش تتبعه آثار سيئة.

ومن المصاديق الأخرى لحسن التعامل في محيط الأسرة حينما يرى الرجل من زوجته قصوراً أو إهمالاً أو تثاقلاً فلا يصرخ بوجهها ولا يكيل لها الشتائم والسباب ولا ينتقدها بل يعظها ويسدي لها النصح بلسان طيب حسن فستكون سماعة دوماً لنصحه.

الوقت المناسب للنصحية

يجب انتخاب الوقت المناسب لإسداء النصح، فمثلاً لا ينبغي نصيحة الزوجة وانتقادها بعد عمل من الصباح حتى المساء أتعبها، لأن الموعظة لا تؤثر أبداً بها وهي على هذه الحالة، بل قد تثمر نتائج معكوسة، فالموعظة لا تتطلب الراحة فقط، بل تتطلب كذلك حسن المعاملة والانسجام والتودد في الحديث وتتطلب أيضاً مكاناً مخصوصاً لها.

شيئان هما أساس العقل، السكوت والإنصات حين يتحدثون إليك، والحديث حين يسكتون.

الشكاية، الإنتقاد، النصحية، الهموم، و... كلها تحتاج إلى وقت مناسب، فمثلاً عندما تواجه الزوجة مشكلة تكون معها فاقدة السيطرة على أحاسيسها، لا يمكن إسداء النصح لها.

ولكن مع الأسف لا تراعي هذه المسائل المهمة وهذا بسبب التكبر الذي غالباً ما نكون مبتلين به، نريد أن نفرض أعمالنا وأحاديثنا على الآخرين، وهذا العمل غير محمود ونتائجه كذلك غير محمودة ولا نحصل منه إلا على إخراج المحبة والمودة من قلب الزوجة.

آثار الصغار الكبار

إذا شوهد في بداية الحياة المشتركة حرارة خاصة بين الزوجين فذلك مرجعه إلى علاقة كل منهما بالطرف الآخر، ولكن بمرور الزمان تخفت شدة هذه الحرارة لعدم رعاية القضايا الصغيرة.

تحتاج الموعظة إلى حسن السلوك

على سبيل المثال، وحين رجوعك إلى المنزل، وابنك مشغول في الخارج باللعب، لا ينبغي لك أن تصرخ في وجهه وتحقر زوجتك لعدم حضانتها وممارسة عملها كحاضنة للأبناء، حينها لا يجلب عليك هذا السلوك إلا الأثر المعاكس. وإذا أردت أن تسدي النصح لزوجتك، فعليك أن تكون في كامل الهدوء لتتحدث معها بشكل طبيعي مباشر أو غير مباشر وتجلب سمعها إليك

بالمودة والمحبة وحسن الأخلاق لتلفتها إلى خطئها. ولا يوجد سلاح أحسن وأفضل من المعاملة الحسنة وحسن الخلق يوصلك إلى الأهداف المعنوية والمادية(١).

مصداق آخر: مساعدة الزوجة في الأمور المنزلية

من المصاديق الأخرى لحسن المعاملة والخلق قولاً وعملاً هو إفهام الزوجة بذلك من خلال مساعدتها في الأعمال المنزلية. ولا يجدر بالرجل أن يكون كالضيف في البيت، والمرأة تبسط له مائدة الطعام وتأتي له بالماء، وتدير له الشاي، وتجمع المائدة و... ينبغي للرجل أن يساهم في أعمال المنزل لأنه شريكها ورفيقها؛ فقد كان الرسول (ص) يقسم العمل في البيت وفي السفر، وفي الحروب ويساهم هو أيضاً في إبداء المساعدة(٢).

فمثلاً، وفي إحدى الحروب وفي أثناء تهيئة الطعام للنبي (ص)، أمر بتقسيم العمل وكانت حصته جمع الحطب لإشعال النار.

فأصر أصحابه على أن يجلس الرسول (ص) وأن يقوموا هم بإنجاز الأعمال، ولكن رسول الله (ص) قال: أنا شريككم في الطعام، ويجب أن أكون شريكاً لكم في العمل؛ فعلينا نحن أن نكون شركاء لأهلنا في الأمور المنزلية.

كان أمير المؤمنين علي (ع) في كل وقت فراغ، يساعد الزهراء (ع) في أمور المنزل، مصداقاً لقول الرسول الأكرم (ص).

"خدمة العيال كفارة الكبائر، وإطفاءً لغضب الرب"(٣).

في أمور الحضانة، عليكم أيضاً أن تعينوا زوجاتكم بشكل لا يديم عليها النهوض ليلاً من نومها لترضع طفلها أو تسكته، عليكم أن تساهموا في هذا الأمر.

بعض العظام، قسموا فيما بينهم وبين زوجاتهم حضانة الأطفال بشكل تتعهد الزوجة فيه الحضانة في النهار، ويتعهدون هم ذلك في الليل.

مصداق آخر: لا تذكر الكلام اللاذع

من الصاديق الأخرى لحسن السلوك هو اجتناب الحديث الحاد واللاذع. إذ يمكن أن تغيب المحبة لسنين عديدة بكلام واحد حاد ولاذع، بعض اللف والدوران والمزاح والكلام اللاذع يترتب عليه ذنب عظيم جداً لما لهذا العمل القبيح وغير المحمود من آثار سلبية على نفسية

الطرف المقابل، هذا المزاح الثقيل أو الكلام اللاذع يتبدل في البرزخ إلى أفعى وعقرب يكيل الأذى، لصاحبه، علاوة على التشهير والاستهزاء بصاحبه يوم القيامة.

فقد روى الإمام السجاد (ع) عن الإمام الحسين (ع) حينما ودعه في صحراء كربلاء:

"يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله" (٤).

الحرس الثوري العزيز معرضون أكثر من غيرهم لهذه المخاطر، فعليكم أن تحذروا ولو قليل الظلم بسجين وأسير، ومن هم تحت أيديكم، لا ينبغي لكم أن يكون كلامكم لاذعاً، ولا سلوككم مع عامة الناس ولا سيما أهليكم ــ مما يبعث على عدم الاحترام أو الالتفات إليهم.

نماذج من سلوك النبي (ص) مع أزواجه

لقد طلبت بعض زوجات النبي (ص) بعد حرب بني قريظة من النبي (ص) أن يزيد في مخارج المنزل زيادة كمالية بعد أن علمن بالغنائم الكثيرة لجيش المسلمين؛ ولكن النبي (ص) رفض ذلك، وقال: "أنا كبير الإسلام والمسلمين وينبغي لي أن تكون عيشتي يسيرة لكي لا يشعر الفقراء والمحرومون بالحقارة" ولكنهن تألمت من جواب النبي (ص) هذا، مما جر في النهاية إلى الأعراض والابتعاد عنهن.

قال الرسول الأكرم (ص) لحفصة: هل تقبلين رجلاً يكون حكماً بيني وبينك؟

فأجابت: نعم...

فبعث الرسول إلى عمر، ولما جاء قال الرسول (ص) لحفصة: قولي ما عندك.

فقالت: تكلم أنت ولا تقل غير الحق. وعند سماع عمر كلامهما ضرب حفصة على أذنها(٥).

فغضب الرسول (ص) وقال: أنا لم أبعث عليك لتضرب ابنتك، بل طلبتك لإصلاح ذات البين، وترك الرسول الأكرم (ص) المجلس وهو غاضب، فنزلت آيات على الرسول (ص) تقول:

(يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨ ــ ٢٩.

(يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

نتيجة

يستفاد مما عرضنا ومن الآيات، إن كل مشكلة في الأسرة تستدعي أن تحل بحكمة، فالكلام اللاذع، والضرب والشتم، وسوء الخلق ليس حلاً، وإنما هو مثار للمشكلة وتعقيد.

فعلى جميع الأعزاء اجتناب ما يثير الخلاف، ويفرق النفوس اقتداءً برسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع).

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

مصداق آخر ــ التغاضي عن الخطأ

مصداق آخر لحسن السلوك "العفو عن الأعمال غير المحمودة، وأخطاء الزوجة" فمثلاً لو طرق سمعك حديث كاذب قالته زوجتك، فلا تباشرها بالحقيقة، بل انهها عن المنكر تلميحاً لا تصريحاً فكم من إشارة أبلغ من عبارة!

فالمواجهة اشتباه فادح وخطأ كبير يجر إلى ما يكدر الصفو ويبدد المودة، وقديماً قيل: "سارق الدجاجة، يصبح سارقاً للجمل" مثل جميل.

إذن، من الممكن أن يمد ابنك يده إلى جيبك ويأخذ مقداراً من النقود، فعليك أن لا تواجهه بالحقيقة، لأن المسألة سوف تكبرن ولكن حدثه أن السرقة بكل أشكالها حرام وعمل قبيح تقطع يد مرتكبه في الدنيا، وإلا فقطعها حتمي في الآخرة.

وبمثل هذا يمكن تلافي الأخطاء والاشتباهات بذكر الروايات المناسبة للمقام، فإنها تلقى أذناً صاغية ممن مارس فعلاً أو عملاً قبيحاً؛ ويمكن لك أن تقف حائلاً دون هكذا ممارسات باستعراض مسائل الليلة الأولى في القبر وما يتبعها من الأهوال، ويوم القيامة ونار جهنم، والتخويف من عذاب الله سبحانه وتعالى.

فالمشاهدات الوضعية التي تراها في بعض الأحيان صادرة عن أبنائك أو زوجتك، لا تعالجها بالصراخ والعويل والسب والشتم، لأنك لو فعلت هذا لم تحصل على أية نتيجة تطلبها، بل قد

تتضاعف هذه الأعمال وتسهل على ممارسها حتى يصل الأمر إلى أن يعتادها، فلا تبقى في نظره خطأً فاحشاً.

علاج الحد من الأخطاء

يعالج الخطأ علاجاً غير مستقيم فتقول مثلاً لزوجتك: قرأت في الكتاب الفلاني أن امرأة ذهبت يوماً إلى رسول الله (ص) وقالت له: رأيت أن أتزوج، فهل لك أن تعظني بعنوان امرأة مسلمة؟

وما هي وظائف الزوجة تجاه زوجها؟ فأجابها بأن على الزوجة:

أولاً: الطاعة لزوجها في مسألة المضاجعة.

ثانياً: عليها أن لا تعمل عملاً لا يرضاه زوجها.

ثالثاً: في حالة بروز الخلافات والنزعات عليها أن لا تنام حتى يرضى عنها زوجها.

فقالت له: وإذا كان الرجل هو المقصر في الأمر، فهل تذهب المرأة إليه طلباً للصلح؟

قال الرسول (ص): نعم، حتى إذا كان هو المخطئ.

حسن المعاملة مع الزوجة من علامات الإيمان

عندما تعرف أن المرأة في المنزل راضية عنك، فاعلم أنك في مقام الأفضلية من المسلمين.

قال الرسول (ص) مراراً:

"خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله"(٦).

"من كان طيب المعاملة مع أهله وولده محباً لهم كثيراً، كبر إسلامه وإيمانه".

"من كان محباً لزوجه، كان محباً لنا نحن أهل البيت"(٧).

وفي حديث آخر نقرأ:

"كلما زاد الفرد في محبته لزوجه، ازداد إيمانه بالله تعالى"(٨).

الوفاء

هنا، القصد من الوفاء، هو: أن الرجل والمرأة عندما يرى أحدهما من الآخر اشتباهاً أو خطأً عليه أن لا يكون ذلك موجباً لنسيان الطيبات من الأعمال الماضية.

الإنسان وعدم الشكر

غالباً ما يكون الإنسان في روابطه مع الله والناس عديم الشكر؛ على الرغم من علم الله سبحانه وتعالى أن كل النعم التي حباها له قيمة عند الإنسان؛ ويعلم أنه لا يشكره بالشكل اللائق؛ ولكن حينما يُبتلى هذا الإنسان بمصيبة جزئية "يجزع" و"يفزع" ويكفر بالنعم، ويتناسى جميل رفيقه وصاحبه لعدة سنين لخطأ صغير صدر عنه.

عدم الشكر الإنساني بلسان القرآن

جاء في القرآن الكريم بهذا الصدد:

١ ــ **(الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار)** سورة إبراهيم، الآيات: ٣٢ إلى ٣٤.

٢ ــ **(ما قدروا الله حق قدره)** سورة الحج، الآية: ٧٤.

٣ ــ **(قتل الإنسان ما أكفره)** سورة عبس، الآية: ١٧.

٤ ــ **(إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً)** سورة النور، الآية: ٢٢.

عدم شكر الإنسان في محيط الأسرة

من طبيعة الإنسان عدم الشكر على النعمة في الأغلب والجزع عند المصيبة.

وهذه الصفة الأخلاقية غير محمودة.

وفي المنزل أيضاً يغضب عندما يكون غذاؤه مالحاً مثلاً متناسياً خدمات الزوجة وقيامها مبكرةً وحتى الظهيرة بالأعمال المنزلية والزحمات التي تبذلها على هذا الطريق.

وهذا ما ينالها يصادرها على كل الزحمات التي تتحملها من أجل الأسرة.

والمفروض عليه أن يغض النظر عن الأخطاء والاشتباهات مقابل الأعمال الجيدة، ويغطي الأعمال السيئة بالأعمال الحسنة.

(وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) سورة النور، الآية: ٢٢.

على الإنسان أن يفكر في ستر الله ــ سبحانه وتعالى ــ الذي إذا عدم فرّ الناس من بعضهم البعض، لأنه لو كشفت الأستار عن السيئات والخطايا التي سترها الله عن أعين الناس لسقط الناس من أعين الناس ونفر بعضهم من الآخر، وانحلت عُرى الحياة الاجتماعية.

إذن، مثلما يستر الله سبحانه وتعالى أخطاءنا وذنوبنا علينا نحن أيضاً أن نغض الطرف عن أخطاء بعضنا البعض وخاصة في محيط الأسرة ونذكر فقط ما حسن من الأعمال والنقاط الإيجابية لبعضنا الآخر.

وإذا ما مرضت زوجاتنا فعلينا أن نتحلى بالصبر الجميل ولا نتنكر للشكر ونكون أوفياء لهن.

وعلى النساء أيضاً أن يعلمن أن الحياة زيادة ونقصان، راحة واضطراب، نعمة وبلاء، وهكذا وحين السلامة والراحة ونعمة وجود الزوجات إلى جانبنا، علينا وأثناء بروز الفقر والمصيبة والمرض أن نكون أوفياء لهن مثلما في السعادة والراحة.

إن الشيء المهم في الحياة، هو أن يتكيف الزوجان مع السعادة والفقر، ويفي أحدهما للآخر على كل حال، ويعيشا باطمئنان في هذه الحياة بمرها وحلوها.

وعلى الرجل ألا يغفل عن خدمات الزوجة في البيت وما تبذله من أجل سعادته وألا يتصور أن تربية الأبناء وإدارة المنزل عمل سهل، فهو جهد شاق يستدعي الثناء عليها والنهوض معها في أدائه والتجاوز عما فاتها منه وعدم الإساءة إليها بتتبع العثرات وذكر السيئات.

تعدد الزوجات

يمكن لنا أن نتبين مسألة تعدد الزوجات تحت عنوان "الوفاء":

علينا أن ننظر إلى مسألة تعدد الزوجات والطلاق على أنهما من الضرورات.

فالطلاق في الإسلام آخر علاج بغيض يلجأ إليه بعد خيبة كل علاج في إصلاح التدهور الذي يصيب العلاقة الزوجية من جراء أمور مختلفة تنشأ من غفلتهما عما لكل منهما وما عليه.

كذلك "تعدد الزوجات" هو وضع استثنائي ضمن شرائط خاصة، وليس بهذا الشكل الذي يتيح لكل شخص أن يتزوج عدة زوجات إرضاءً لشهوته.

(... فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة...)
سورة النساء، الآية: ٣.

ولا يخفى على أحد إذا قلنا: إن العدالة السلوكية بين عدة نساء عمل صعب جداً، ولا ينجم من عدم رعاية العدالة غير المشاكل وارتكاب المعاصي.

نقطتان مهمتان في وضع هذا القانون

روعي في قانون تعدد الزوجات نقطتان هما:

١ ــ تمام وكمال جميع جوانب القوانين الإسلامية.

٢ ــ رعاية مواقع الضرورة.

من المسائل التي يلتفت إليها تلك التي تقول: بعض الأوقات عنوان الحكم الثانوي الراجح يتغير إلى مرجح؛ فعلى سبيل المثال رمي ذؤابة العمامة تحت الحنك والاتكاء على عصا، ولبس الحذاء الأصفر من المستحبات، ولكن فعلاً وحدهم الروحانيون هم الذين يرمون بذؤابة العمامة تحت الحنك، ولا يذهب ولا يأتي منهم من يمسك بعصا ولا يلبس حذاء أصفر.

المرحوم "الفيض" في "الوافي" والمرحوم "صاحب الجواهر" في "جواهره" يقولان: إذا كان رمي الذؤابة تحت الحنك مستحباً ولكنه فعلاً مرجح لأنه وعلى عهدنا الحاضر يكون مثل لباس الشهرة بهذا العمل.

مسألة "تعدد الزوجات" و"الزواج المؤقت" أيضاً خاصة للحرس الثوري الذين يمتلكون حكماً ترجيحياً فزواج حارس الثورة في الوقت الحاضر زواجاً مؤقتاً عمل ترجيحي، وليس راجحاً على الرغم من استحباب الأمر وتحقق ثوابه.

فهو ذريعة تتاح للعدو في النيل من الإسلام والتشهير به.

تحذير

عليك أن تخطو خطوات بطيئة، وتنظر بعيداً جداً وتدرس المسألة من كل الجوانب متكئاً على عصا الاحتياط في حالة التقدم خطوة في طريق "تعدد الزوجات".

ولتعلم أنه علاوة على الأضرار التي ستحظى بها الزوجة الأولى، سيخلق لك أرضية لإعلام سوء كثير.

لا تغفل من أن تكون مسؤولاً ورب أسرة من أسر الشهداء أو أسرة فقير، كن فطناً، فمسؤولية هكذا عوائل وأسر لا ينحصر في "تعدد الزوجات" ومن أجل إنجاز هكذا أعمال شريفة سوف تفتح على نفسك طرقاً مختلفة للخير؛ كثيرون هم الذي امتنعوا عن الزواج على الرغم من أن أعمارهم تقتضي ذلك ولكنهم لم يتزوجوا؛ عليهم أن يتزوجوا من أسر الشهداء.

نصيحتي إلى الحراس الثوريين من الذين لم يرتبطوا بالزواج إلى الآن، أنصحهم بحتمية الارتباط بأسر الشهداء لما لهذا العمل ابتداءً من إدخال السرور على روح الشهيد أولاً،

وثانياً: ستكسب رضا الله سبحانه وتعالى، وتسير مرفوع الرأس بين الناس عزيزاً.

ثالثاً: سيفرح الصديق لعدم بقاء أسرة من أسر الشهداء من غير ولي.

ويغتم العدو ويغضب بهذا العمل الشريف.

رابعاً: ترك الآثار الإيجابية على نفسية عائلة الشهيد.

الهوامش:

(١) قال الصادق (ع): إن الصبر والصدق والحلم وحسن الخلق من أخلاق الأنبياء (سنن النبي، ص٥٩).
(٢) روى ابن شهراشوب في مناقبه أن الرسول (ص) كان يصلح نعله، ويخيط لباسه، ويحلب النعاج والنياق ويساعد خادمه، ويهيئ لنفسه ماء وضوء ليله. (مناقب ج١ ص١٤٦).
(٣) بحار الأنوار ج١٠٣، كتاب النكاح.
(٤) سفينة البحار ج٢، ص١٠٩.
(٥) مجمع البيان، ج٤، ص٣٥٣.
(٦) من لا يحضره الفقيه: ص٣٢٤، الحديث الخامس.

(٧) وسائل الشيعة: ج١٤، ص١١، باب النكاح.

(٨) وسائل الشيعة: ج١٤، ص١١، باب النكاح ــ من لا يحضره الفقيه: ص٤٠٩.

لموضوع

عدم التشدد
تربية الأطفال

المهر والجهاز في الزواج

عدم التشدد

إن أحد شروط النجاح في إدارة المنزل، وخاصة للرجال هو عدم التشدد.

التحجج

إن التشدد داخل محيط الأسرة، له مصاديق مختلفة، والتحجج بالمكارم الشخصية واختلاق المعايب على الآخرين من جملتها.

صفة التشدد، جزء من التفكير السلبي، وقد تطرقنا سابقاً إلى التفكير السلبي والنسيج في الخيال.

إذا ساد التحجج عم البرود نظام الأسرة ونمت الاختلافات والانفعالات.

وكثيراً ما يجد المنحرف مراده في أقوال وأفعال إنسان دائم الخطأ والاشتباه.

وكلما غلب التفكير السلبي إنساناً صار أسير التحجج أكثر، فقسى قلبه واشتد تمسكه بالحديث الحاد والكلام الجارح في القول والفعل مما يبعث على تقطع أواصر المحبة والمودة في الأسرة.

فعليكم أن تبتعدوا في حياتكم عن التفكير السلبي والتحجج في أوساطكم الاجتماعية بشكل عام والأسرية بشكل خاص.

وعليكم أن تكونوا من ذوي الهمم العالية الرفيعة، وتفتحوا صدوركم للعفو والإقبال على الناس وتتغاضوا عن الأخطاء الجزئية وتتعاملوا بشهامة الرجولة في الأغماض عما سلف، لتكونوا مثالاً للإنسان المسلم الذي تحكمه الشريعة في قلوله وفعله، وسره وعلانيته مع القريب والبعيد، فتحظوا بكرامة الدنيا وسعادة الآخرة.

العفو والصفح:

لقد أمرنا الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز بالعفو والصفح.

(... وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) سورة النور، الآية: ٢١.

"العفو" حالة تتجلى عند الإنسان مع رؤية عيوب الآخرين، والخروج على هذه الرؤية والمتابعة للعيوب؛ ولكن إذا ما كان الفرد يتمتع بصفة "الصفح" معنى ذلك أنه يمتلك "رحابة صدر" معها يتغاضى عن أخطاء ونقائص وسيئات الآخرين.

العوامل المؤثرة على السلامة النفسية للأبناء

إذا أردتم أن يكون أبناؤكم سالمين نفسياً، فعليكم أن تتشددوا ولا تسمحوا للتحجج أن يأخذ طريقه إلى نفوسكم.

تجنبوا التفكير الخيالي السيئ، وتحلوا بالصبر، وواجهوا المصاعب وشدائد الحياة برجولة وشهامة، واسعوا على أن تتوافقوا مع أزواجكم، فنحن نقرأ في الروايات ما مضمونه، إن الرجل أو رب الأسرة يميل إلى الغذاء بصورة طبيعية حينما يكون مشتاقاً إلى أسرته؛ ويأكل ما يميلون إليه من الغذاء.

أي: أنه ينسجم مع أسرته في حال السلامة النفسية ويوافقهم في كل ما يميلون إليه من الأفعال الحسنة والأقوال الطيبة.

فينبغي للرجل والمرأة على السواء أن يتوافقا مع أذواق باقي أفراد الأسرة، ويسعى كل منهما أن يقدر حسنات الآخر، ويشكرها له بعيداً عن الغرور الذي يمنعه من السير على خطى أفراد أسرته الحسنة.

نفهم من مضامين هذه الروايات، أنه ليس فقط علينا أن نمتنع عن التشدد والتحجج، بل يجدر بنا أن نسير على خطى أفراد الأسرة وننسجم معهم من أجل كسب المحبة والمودة وتأصيل العلاقات الأسرية وترتبها نحو الأحسن.

عدم التشدد في المباحات

علينا أن لا نتشدد في المباحات، فإننا إذا لم نكن متصعبين في الأعمال والأقوال المباحة، نستطيع التقليل من الأعمال التي تحسب على المكروهات.

أحياناً، لا نتصعب أيضاً في المكروهات، لنتمكن من الحد من عمل المحرمات، وإذا ما حصل الإنسان على إجازة في بعض الأمور من الشارع المقدس، وقبلها العقل، ولم تكن هذه الأمور منافية للعرف الذي يلتزمه المسلمون، ويأتي من يمنع هذا الشخص من إنجاز هذا العمل بحجة أن آباءه لم يكونوا يعملون ذلك، فستظهر آثار سلبية تجر إلى تظاهر الزوجة والأبناء بالمكروهات.

وإذا حاولنا في بعض الموارد الاستثنائية والضرورية أن نمنع أزواجنا وأبناءنا من عمل المكروهات لا نحصل على نتيجة جيدة، وقد يأتينا الجواب سلباً لا إيجاباً.

نتيجة التشدد في المكروهات

علينا أن لا ننسى في محضر إسداء النصح لأسرنا وبيان المفاسد والمصالح الإنسانية لهم، إصرارنا وتأكيدنا لترك المكروهات والعمل فقط بالمباحات. ولكن في مقام العمل لا ينبغي أن يكون كذلك لما له من آثار سلبية على الأسرة.

فعلينا ألا نعامل الزوجة بفجاجة عندما تعمل عملاً مكروهاً، لأنه من الممكن أن تبعثها شدتنا على العناد، فلا نحصل عندئذ على أية نتيجة إيجابية.

إن بعض ميول الزوجة وطلباتها التي يمكن إشباعها داخل المنزل، تقف حائلاً دون وقوع سلسلة من المفاسد الاجتماعية خارج المنزل، لذا أوصي بأن لا تكونوا جافين مع أبنائكم وزوجاتكم، وأن تترفعوا عن ممارسة التصعب والتشدد والتحجج، وكونوا متقين في ذلك.

التشدد في الواجبات

غالباً ما يكون التشدد غير مطابق لما يريد الشرع المقدس والعقل والعرف، فعلينا أن نتشدد في المواضع التي يتشدد بها الله سبحانه وتعالى؛ في الواجبات "مثلاً"، ولا نعني التشدد في الأمور الواجبة هنا الخشونة والحدة، بل نعني الجدية والإحكام في الأمور الواجبة، وكذا في المحرمات.

وبناءً على هذا، فالجد والإحكام يكون لازماً في حالات التحجب خارج المنزل، وخصوصاً أسر الحرس الثوري باعتبارهم مثالاً وقدوة.

نظر الشرع المقدس بالتشدد في المباحات

التشدد في المباحات وفي المكروهات أحياناً عمل غير صحيح؛ فعلى سبيل المثال إجبار الزوجة على البقاء في المنزل وعدم السماح لها بالذهاب إلى دار أبيها وأمها ومعارفها، لذا، عليكم أعزائي أن لا تكونوا متصلبين في الأمر المباح، ولا تخطوا خطوة غير شرعية.

عليكم أن تضعوا في أذهانكم أنكم لن تتمكنوا من النصح والوعظ بالتشدد والحدة ولن تستطيعوا بذلك أن تحكموا سيطرتكم على المرأة.

التشدد نوع من أنواع "التفريط" في الأعمال، و"الإفراط" و"التفريط" يبعثان على ضرر الفرد والجماعة.

وأما الذي يرتضيه الإسلام فهو الاعتدال في الأمور.

فالتشدد في المباحات ليس من الشرع المقدس بشيء، ولا ينبغي لنا بدون حجة أن نتشدد مع الزوجة والأولاد في هذه الأمور.

عدم التشدد في الأمور المادية

المصداق الثالث الذي يرتبط بالتشدد في المحيط الأسري مرتبط بالأمور الاقتصادية، فإذا سعى الرجل أن يرفه عن أسرته مادياً يحظى حتماً بالأجر والثواب.

وهناك روايات كثيرة تؤكد هذا المعنى منها:

"الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله".

وكذلك نقرأ في الروايات ما مضمونه، إذا ما ذهب الرجل إلى السوق واشترى شيئاً لزوجته وأولاده لإدخال السرور على قلوبهم، سره الله سبحانه وتعالى ورضي عنه.

وأسوأ الناس رجل مقتدر قتر على زوجته وأبنائه، لذا جاء في الروايات عن النبي ما مضمونه: إن النبي الأكرم (ص) صلى على جنازة رجل صرف أمواله كلها في سبيل الله، ولكن حين أخبر بأن هذا المسجى بين يديه أعطى كل أمواله في سبيل الله في الوقت الذي جوع فيه زوجته وأطفاله، فحزن الرسول (ص) حزناً شديداً وقال: لو علمت ذلك، ما أقمت الصلاة عليه.

أهمية رفاه الأسرة

ترفيه الأسرة خير من أداء "الصدقة" و"النفقة"؛ وكما قيل: المصباح الذي يضيء المنزل يحرم إهداؤه إلى المسجد.

هذا الكلام جاء في موضعه، وأساسه تعاليم الإسلام؛ ولا يخفى القول أن بعض المصاريف ليست في موقعها وأحياناً غير لازمة. وعلى سبيل المثال: يصرف رجل مقداراً كبيراً من النقود على وليمة بشكل يجوع معها زوجته وأبناءه لياليَ طوالاً.

وحيناً آخر يسرف في الإنفاق خارج محيط الأسرة، ولكنه يبخل على أسرته.

وهذه الممارسة غير محمودة، وإذا لم تكن حراماً، فإنها على طرف حد الحرمة.

كذلك، يهتم بعض الرجال بغذائه ولباسه بشكل كبير ولكنه يقتر على أسرته ويحاسبهم على الصغيرة والكبيرة من الأمور المادية. مبتعدين بذلك عن صفات الشهامة والرجولة.

حاولوا دائماً أن تقدموا أسركم على أنفسكم، اسعوا في ترفيههم، ولا تضيقوا عليهم أبداً في المادة، وادخلوا السرور والفرح عليهم.

ويجب أن يراعى هذا في الغذاء أيضاً فلا تتناولوا الغذاء خارج البيت وحدكم قدر المستطاع وحبذا اصطحاب أسركم إذا رغبتم في ذلك.

مما تقدم نحصل على حالتين تساهم في غل اليد وضيقها عن خدمة الأسرة.

وهاتان الحالتان مرفوضتان شرعاً وعقلاً:

١ ــ التشدد والتصعب في المباحات.

٢ ــ ممارسة البخل.

تربية الأطفال

من جملة وظائف ومسؤوليات الوالدين المهمة تربية الأطفال.

وقد أعطى الإسلام هذه الوظيفة أهميةً عظمى، وطرح برامج تربوية اجتماعية.

وذكر أن أكثر من ألف رواية جاءتنا تواتراً عن النبي (ص) والأئمة المعصومين (ع) في تربية الطفل، وقد ذكر لنا كتاب "وسائل الشيعة" ٥٠٠ رواية منها.

فقد وردت قوانين تتصدى لمراحل التربية قبل وبعد الولادة وتجعل عوامل تربية الطفل في شروط الزواج.

وعلينا ان نلتفت إلى "قانون الوراثة" الذي يؤكد أن شخصية الوالدين لها كل الأثر في تكوين شخصية الطفل.

معيار انتخاب الزوجة

بيّن الإسلام العزيز معيار انتخاب الزوجة وخصائص الزوج الكفؤ.

فقال الرسول الأعظم (ص): "إياكم وخضراء الدمن.

قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟

قال: "المرأة الحسناء في منبت السوء"(١).

ومن منظار إسلامي، أسرة وضيعة لا يتحكم فيها الدين، ولا تتحكم فيها الآداب والأخلاق، لقد جاء في الخبر:

"إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه"(٢).

لقد شخص الحديث الشريف معيارين أصليين للزواج السليم هما "الدين" و"حسن الخلق" سواءً كانت المرأة أو الرجل.

وإذا انتخب الرجل امرأة ذات ثروة وجميلة ومن أسرة شريفة وذات أدب، فذلك أمر حسن، غير أن الشرط الأهم هو التدين والأخلاق الحسنة.

سبب الفشل في الحياة الزوجية

نقرأ في الروايات أن من تزوج امرأة ذات مال وجمال غير مهتم بدينها وأخلاقها لم يفلح في زواجه هذا.

ولقد أثبتت التجارب أيضاً أن الجمال قد يحرف المرأة الجميلة إذا لم يحكم دين سليم وخلق كريم.

الحكمة من معيار الزواج

أكد الإسلام ضرورة "التدين" و"حسن الخلق" بسبب قانون الوراثة، وأكدها علماء النفس أيضاً، لأن الجينات الموجودة في الإنسان هي عوامل انتقال الصفات الظاهرة والباطنة من الأبوين إلى الأبناء.

وبناءً على هذا، فإن الأوضاع الفكرية والنفسية للأم تترك أثراً فعالاً على الجنين، لأنها تؤثر في البدن وجهاز الهضم بشكل خاص؛ وهذه التأثيرات تنتقل من الأم إلى الجنين عن طريق الغذاء لتشكيل الحالات النفسية وتبلور الشكل القادم لشخصية الطفل.

تأثير المحيط على شخصية الطفل

يعتقد علماء النفس أن "عوامل المحيط" تساهم أيضاً في النمو المادي والروحي للجنين، وقد حصل هذا لبعض الأجلاء الذين كانت امهاتهم يذكُرْنَ الله كثيراً في حملهن، وكن لا يرضعنهم بغير ذكر الله ولا من غير وضوء.

ويدخل الزمان والمكان وشروط انعقاد النطفة أيضاً ضمن كيفية الأوضاع البدنية والنفسية للطفل لتترك أثرها الشديد عليه.

وقد وردتنا روايات كثيرة عن أئمة الدين (ع) في هذا الشأن.

قال الإمام الصادق (ع): "تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس مكارم". يستفاد من هذه الرواية بأن "العرق" هو كناية عن "الجين"، أنّ ويعمل بدقة وقوة في انتقال ظريف للصفات التي يحملها الأبوان إلى الأبناء.

وفي رواية أخرى:

"الولد على سر أبيه".

وبناءً على هذا، نفهم أن "الجينات" هي التي تنقل صفات الوالدين إلى الأبناء.

وعند مطالعتنا لتاريخ الطوائف أو القبائل نجد بعضهم متكبراً ذاتياً والبعض الآخر حسوداً أو بخيلاً الخ...

وهذه الصفات غير المحمودة تصل عن طريق "الجينات" وراثة نسلاً عن نسل بشكل يمكن تشخيص صفات تلك الأقوام من خلال النسل الحاضر.

عدم الأبهة في الزواج

من المسائل المهمة الأخرى التي تشجع على الزواج وزيادة النسل وأوصى بها الإسلام كثيراً هي "عدم الأبهة" في الزواج.

إن الإسلام بشكل عام يخالف الأبهة أساساً، لأنها سد مانع لتقدم الإنسان، وعلى الخصوص في مسائل الزواج. "فالمهر الكثير" و"الجهاز المفصل" و"تشدد الطرفين" و"التحجج غير المعقول" كلها عوامل تساعد في عدم تسريع أمر الزواج والذي هو مرفوض بنظر الإسلام المقدس.

ناهيك عما تسببه "الأبهة" من فقدان روح المحبة والألفة بين الرجل والمرأة، وحينما لا تنعقد روح المحبة والألفة بين الزوجين سيصبح المحيط الأسري جافاً وبارداً يفتقد النشاط والفعالية. وسيكون أبناء أسرة كهذه فاقدين للمحبة والألفة والفعالية، ويعيشون عالة على المجتمع وأعضاء غير مفيدين.

المهر والجهاز في الزواج

ضخامة المهر من دواعي الضرر البالغ في الحياة الاجتماعية، إذ يتلف الناس كثيراً من الوقت في التفاوض على كمية المهر وكيفيته وزيادته ونقصانه. وتتصاعد الأصوات فيه عالياً، فهذا يأتي بـــ"واسطة" وذلك "يمن" على فلان.

قل أنت بالله عليك: أهم إزاء حاجة تباع وتشترى أم إزاء إنسان كرَّمه الله ورفع قدره؟

كل هذا وذاك يرفضه الإسلام، لأنه يسلب "المودة" و"المحبة" من قلبي الرجل والمرأة، ويبث بذور الفرقة بينهما.

وكم هي الاختلافات الأسرية التي بدأت من هذا المشروع!

وكذلك "الجهاز" وما ينشأ عنه من الأخطاء والاشتباهات. وإذا ما كان الجهاز ــ لا سمح الله ــ فيه نقص واضح أو غير واضح، فسيكون دافعاً للخلافات التي ستقوم بين أسرتي الخطيبين.

أرجو أن تختفي هذه المظالم المدمرة من حياتنا ببركة الثورة الإسلامية التي انطلقت لتوعية الأمة وعتقها من جور الجاهلية الذي ظهر بعد غلبة الحكام المنحرفين عن نور الإسلام العزيز.

ما أسعد الحياة بعودتها إلى سنة الزواج على صدر الإسلام، التي كانت تتم بشكل بسيط بعيداً عن كل هذه التشريفات الكاذبة.

لقد كان مهر الزهراء (ع) ٥٠٠ درهم فأي قدوة للرجال والنساء من المسلمين أسمى من الزهراء وعلي ــ عليهما السلام ــ.

وليمة الزواج

وبصدد (الوليمة) أيضاً علينا أن نجدد النظر، مقتدين بزواج أمير المؤمنين (ع) والزهراء (ع)؛ فقد كان هناك ابتهاج عم الوجود كله، لكن لم يكن للتشريفات منه من أثر.

"الوليمة" مستحبة، أما التشريفات فلا.

في حكاية عن شخص جاء أمير المؤمنين (ع) وقال: عقدنا العزم على أن نقيم "وليمة" في زواج ولدي الليلة؛ أرجوك أن تحضر الوليمة فسأله الإمام: مَنْ دعوت؟ فذكر له أسماء عدد من الأشراف والأعيان؛ فقال له الإمام (ع): لماذا لم تدعُ الفقراء والمساكين؟

فأجاب؛ اليوم ندعوك أنت ومن ذكرت لك، ومساء غد ندعو الفقراء والمساكين.

فأجابه الإمام (ع): أنا كذلك سأكون في ليلة الغد مع الفقراء.

فقال: يا أمير المؤمنين، أنا لا أعرف فقيراً أدعوه.

فقال الإمام حينها: سآتيك ليلة غد بصحبة الفقراء؛ وفي الموعد المقرر جاء الإمام (ع) مصطحباً معه ٥٠ نفراً من الفقراء والمساكين من الذين لا يملكون عشاء ليلتهم ليحضروا مجلس الوليمة.

وليمة عرس أمير المؤمنين (ع)

قال أمير المؤمنين (ع) بصدد "وليمة" عرسه:

قال رسول الله (ص): يا علي إن ترتيب القرية وإعداد اللحم والخبز لوليمة عرسك كفلتها لك، وجلب التمر والزيت تكفله أنت، لقد كان رسول الله (ص) شخصياً يساعد في إعداد الطعام؛ بعدها أمرني بأن أدعو للوليمة من أحب.

ذهبت إلى المسجد، وللوليمة دعوتهم؛ كان المسجد يغص بالمصلين الذين كان أكثرهم من المساكين؛ حضروا الوليمة في بيتنا وكانوا لكثرتهم وقلة الطعام باعثاً على خجلي حينها، وعندما انتبه إليّ الرسول (ص) وعلم بحالي قال: سأدعو لك الله تعالى بأن يبارك لك في طعامك هذا.

الهوامش:

(١) وسائل الشيعة: ج١٤، ص١٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥١.

الموضوع

أثر الغذاء في شخصية الطفل
الفطرة
آثار النية في تكوين شخصية الأبناء
قوانين التربية الإسلامية

أثر الغذاء في شخصية الطفل

للغذاء أثر كبير في تكوين شخصية الطفل، فإذا ما كانت نطفة الجنين منعقدة من مال حرام، أو كان غذاء الأم من مال حرام وقت الحمل، كانت بذرة الشقاء تنمو بنماء ذاك الجنين.

وهكذا فإن الطفل سيكون شقياً إذا تغذى من مال الحرام.

مقدمات ولادة الزهراء (ع)

من جملة مقدمات ولادة فاطمة الزهراء ــ سلام الله عليها ــ إن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله (ص) وزوجه خديجة الكبرى (ع) أن يبتعدا عن الناس، وبناءً على هذا ذهب رسول الله (ص) إلى غار حراء ليتعبد هناك أربعين يوماً وليلة؛ بينما عزلت خديجة (ع) نفسها عن الناس طيلة هذه المدة ملازمة بيتها، بعدها جاء الأمر لرسول الله (ص) بالرجوع إلى البيت؛ وفي الليلة الأربعين جاءه جبرئيل (ع) بالبشرى وقال له: السلام يقرؤك السلام ويبعث لك بهذه التفاحة من الجنة، أخذ الرسول (ص) التفاحة وضغط بها على صدره، فقسمها نصفين، وحين القسمة، خرج من التفاحة نور كنور الشمس، حينها قال جبرئيل (ع): يا رسول الله (ص) هذا نور السيدة التي اسمها في السماء "منصورة" وفي الأرض فاطمة (ع)(١).

هذا الحديث يمكن اعتباره مثلاً في آثار التغذية على شخصية الأبناء.

آثار التغذية من منظار قرآني

ورد في القرآن الكريم قوله تعالى ــ بهذا الصدد:

(إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) سورة النساء، الآية: ١٠.

من البديهي، أن الذين ينظرون بعين الله يرون كيف تأكل النار من أكل أموال اليتامى ظلماً.

ولا يخفى على أحد، أن النطفة التي أنعقدت بنار الظلم ستكون على نحو ما انعقدت به من الظلم.

ومن الطبيعي أن الأبناء الذين انعقدت نطفهم من مال الربا، أو السرقة وأموال الحرام عموماً ستحملهم آثار الحرام على ارتكاب الحرام.

أثر الغذاء في نمو الطفل المادي

هكذا، فإن الغذاء المناسب والمقوي يترك آثاراً إيجابية على لطافة جسم الطفل.

ولنا روايات بهذا الصدد تتحدث عن المرأة حينما تتغذى بالأغذية المقوية كالتفاح، والسفرجل، والتمر، سيكون لهذه الأغذية الأثر الإيجابي في جمال ولطافة وقوة الطفل البدنية.

روي عن الإمام الصادق (ع) "أنه نظر إلى غلام جميل، فقال: ينبغي أن يكون أبو هذا أكل سفرجلاً ليلة الجماع"(٢).

وينظر علماء اليوم أيضاً إلى أن التغذية الصحيحة على وقت الحمل، والرضاعة لها أثرها في جمال الوجه وتوازن الجسم واللون ولطافة الشعر والعين للطفل. وهكذا فإن الغذاء اللطيف، المعطر له تأثير إيجابي مناسب على ظاهر الطفل.

وعلى العكس من ذلك فإن الطعام الحرام وطعام الشبهات له أثار سلبية على شخصية الطفل وتركيبه.

تأثير آداب الطعام

علاوة على ما أسلفنا، فإن لآداب الطعام أيضاً آثاراً على الحالة النفسية للطفل، "فالتسمية" في بداية الطعام، وقول "الحمد لله رب العالمين" في النهاية ومراعاة الآداب الأخرى للطعام تدخل في دائرة بناء الشخصية.

حكاية عن العلامة المجلسي (ره)

هذه الحكاية نقلت عن العلامة (محمد تقي المجلسي) عليه الرحمة مطابقة للآيات والروايات والتجارب؛ فقد كان يقيم صلاته في الغالب في المسجد الجامع بإصفهان، وفي إحدى الليالي صحب ابنه إلى المسجد، ولكن الابن امتنع عن دخول حرم المسجد وانتخب الجلوس في ساحته.

وبعد ذهاب أبيه إلى حرم المسجد، ثقب الابن بمخيط كان في يده جعبة تحوي ماءً كانوا قد جاؤوا به إلى المسجد، وبعد الصلاة وصل الخبر إلى أبيه العلامة المجلسي، فتأثر كثيراً واغتم من فعل ابنه، وحين رجع إلى البيت قال لزوجته: لقد راعيت كثيراً في تأديبه وتغذيته وسعيت كثيراً قبل انعقاد نطفته وبعدها وفي سني صباه ولكن عمله اليوم يدل على تقصير أحدنا.

فقالت أم الغلام: عندما كنت حاملاً ذهبت إلى منزل جارنا، فجلب نظري شجرة رمان كانت لهم في ساحة المنزل، وبعيداً عن الأنظار ثقبت إحدى الرمانات بمخيط كان بيدي لأتذوق طعمها.

نتيجة

وعلى هذه الأساس عرفنا كيف أنّ مخيطاً غرزته الأم في رمانة بشجرة الجار أثر في تكوين شخصية الطفل وبعثه على أن يسلك سلوكاً غير طبيعي وتبين لنا أن تناول أي زاد من مال حرام في أي مرحلة من مراحل الحياة يؤثر في مزاج الولد وسلوكه تأثيراً سيئاً، ويدفعه للولوغ في المحرمات وممارسة المنكرات.

مشاركة الشيطان في تربية الأبناء

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد:

(وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً" سورة الإسراء، الآية: ٦٤.

لقد جاء في الروايات أن أحد مصاديق "مشاركة الشيطان" في انعقاد نطفة الأبناء يأتي من الطعام الحرام؛ فإذا كانت النطفة في طريقها إلى الانعقاد، وكان حينها الأب يفكر في عمل حرام لم تثمر ولداً مستقيماً قادراً على الصلاح وخدمة الناس، لأن للحرام تأثيراً ملموساً في اضطراب الإنسان الذي في تركيبه شيء من الحرام.

أثر البسملة عند تناول الطعام

فعليكم أعزائي أن تراعوا "حلية" و"حرمة" الطعام، ولا تتناولوا الغذاء "المشبوه" إلا أن يكون مقروناً "بالدعاء" و"اسم الله تعالى" و"التوسل" بالله سبحانه وتعالى مخلصين في عقيدتكم.

وإذا ما كان المسلمون يحتوون في أبدانهم قلوباً لم تصدأ بعد، متعبدين طبق ضوابط الإسلام الشريف تمكنوا من أعمال مثل تلك التي حدثت في حرب "القادسية" لقائد جيش المسلمين حين قال للمجوس "أن لنا قرآناً يحفظنا".

فأجابه قائد المجوس ــ وكان بيده قدح من "السم القاتل" إذا كنتم تدعون أن القرآن يحفظكم، فخذ قدح السم هذا وتناوله، فتناوله منه، وقال: "بسم الله الرحمن الرحيم".

وشرب السمّ عن آخره فما أضره بإذن الله لصدق عقيدته في "بسم الله الرحمن الرحيم" وصفاء إيمانه بها.

في هذه المسألة حديث طويل ومفصل، ولكن الذي أخذناه بنظر الاعتبار هو ما لذكر "بسم الله الرحمن الرحيم" من أثر في إبطال شبهة الغذاء المشبوه.

كذلك، على الأمهات أن يذكرن البسملة عند تناول الطعام، ورضاعة أطفالهن، أو تغذيتهم.

تذكير

أعزائي، احذروا تلوث أموالكم وارواتبكم التي أحلها الله لكم، وانجزوا أعمالكم على أحسن وجه.

وليس لكم أن تتقاعسوا أن تتهاونوا في الأعمال، لأن الأموال التي تصرف لكم هن من بيت مال المسلمين.

واحذروا من استعمال السيارات ووسائل النقل العامة لمصالحكم الخاصة فإنها أمانات جعلت مسؤوليتها في عهدتكم.

عليكم أن تضعوا دائماً في أذهانكم قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).

"ادقوا أقلامكم وقاربوا بين سطوركم وإياكم وفضول الكلام فإن أموال المسلمين لا تتحمل الضرار".

الفطرة

إن فطرة الإنسان من منظار قرآني وروائي تقبل الإسلام وكل ما يتعلق به من تشريعات؛ ومعنى ذلك أن "الإسلام" و"تفصيلات قوانينه" هي أشياء مقبولة في أصل الإنسان.

وما انحرف إنسان عن "الإسلام" و"تفاصيله" إلا بتقصير أبويه في الطفولة، وسوء أساتذته في الصبا، ورداءة المحيط الاجتماعي في الفتوة، ولهذا قال القرآن الكريم:

(فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) سورة الروم، الآية: ٣٠.

وقد صرح الحديث الشريف بهذا المعنى فجاء فيه:

"كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه (أو يمجسانه)"(٣).

إذن كل طفل يولد على أساس الفطرة الإسلامية، أي: أنه يولد طيب النفس طاهر الروح نقي القلب محباً لعبادة الله تعالى.

فإذا انحرف فيما بعد عرفنا أن أبويه قد قصرا في طهارة نطفته التي كان منها، بتناول الزاد الحرام أو ممارسة الفعل الحرام.

وربما غذياه الحرام أو سقياه بعد الولادة، أو رآهما يفعلانه عند بداية إدراكه، فتاثر بهما وأقتفى ما ليس له به علم من سوء فعلهما، فانحرف عن الحق إلى الباطل، فخسرا وخسر هو بما ورث منهما وما اكتسب عنهما من سوء الفعل وقبحه.

علاقة سعادة وشقاوة الأبناء بالوالدين

جاء في القرآن الكريم أن الأبوين إذا قصرا في تربية الأبناء دفعا ضريبة تقصيرهما باهظة يوم القيامة.

فإذا خالفت بنت العفة أو تهاونت في أمور دينها، أو انحرف فتىً عن مسيرة الإسلام العريقة بتقصير الأبوين، فإن النار ستكون من نصيب ذلكما الأبوين حتى إذا كانا متدينين في الظاهر إضافة إلى أبنائهما المنحرفين بتقصيرهما وسوء تربيتهما.

ولقد ذكر المرحوم "العلامة المجلسي" في كتاب "حلية المتقين" قسماً من روايات تتطرق إلى هذه المواضيع نأمل مراجعتكم الكتاب الشريف والتزام ما فيه من وصايا.

وهنا نذكر لكم بعض مما جاء فيه.

وعلى أية حال فشقاوة وسعادة الأبناء ترتبط ارتباطاً كبيراً بالأب والأم.

قال رسول الله (ص):

"الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه"(٤).

ومن هذه الناحية نظر الإسلام نظماً تقف حائلاً دون ظهور نسل فاسد وناقص جسمياً ونفسياً. وإذا أقيمت هذه القوانين قلت هذه الانحرافات والخلافات الشرعية والأخطاء.

فإذا أحسن الأبوان التربية قل ظهور الولد المنحرف، وإذا ظهر كان هو المسؤول عن تقصيره لا أبويه.

حكاية عن الشيخ فضل الله نوري "قد"

ينقل لنا أحد الأجلاء ملاقاته للشيخ فضل الله النوري قبل استشهاده بأيام في السجن، فيقول: ذكرت للشيخ فضل الله أن ابنك إنسان متهور يعمل على العكس منك أعمالاً تنافي الشرع، فقال: إني أعلم بهذا الموضوع منذ البداية، فقد ولد ابني هذا في النجف الأشرف ولم يكن لأمه حينئذ لبن ترضعه منه، فاضطررنا أن نعطيه حاضنة ترضعه، وبعد مدة طويلة انتبهت على أن هذه المرأة لم تكن عفيفة وتحمل في قلبها عداوة لأمير المؤمنين (ع). ومن ذلك الوقت عرفت أن كسب السعادة لهذا الابن مشكلة كبيرة(٥).

تذكير

أحذركم من أن يكون طعامكم يخالطه الحرام، اسعوا دائماً للحفاظ على نطف أولادكم لترتبط بمحبة أهل البيت (ع).

وهذه المسؤولية أكثر ما تكون بأعناقكم أنتم الرجال.

وإذا ما انحرف أبناؤكم عن الإسلام وعن فطرة الله ــ لا سمح الله ــ بتأثير طعام الشبهة والحرام، فأنتم المسؤولون يوم القيامة وسيشتكي منكم ومن أعمالكم إلى المولى جل وعلا.

أيها الآباء والأمهات، كونوا فطنين، ولا تفكروا بشيء قبل انعقاد النطفة وحين انعقادها، لا تفكروا بشيء غير الله ومحبة أهل بيت العصمة والطهارة (ع).

تأثير نفسية الوالدين

لقد جاء في الخبر امرأة بيضاء ولدت طفلاً أسود فبعث لونه على الشك في عفتها، وكبر الاختلاف في ذلك حتى وصل إلى الإمام علي (ع)، فبرأ ساحتها وبحث في المسألة وسأل: هل كان في الحجرة صورة؟

فقالت: نعم، صورة لغلام أسود كنا قد وضعناها على الحائط.

فقال أمير المؤمنين (ع): إن الوليد هو ابن حلال وما جرى كان السبب فيه أنتم، ففي حال انعقاد النطفة نظر الرجل إلى صورة الغلام الأسود فأثرت النظرة في النطفة فسودة الطفل.

الوالدان سبب في نقص عضو من أعضاء الطفل

إن الله سبحانه وتعالى يصور الطفل في الأرحام بشكل جميل وكامل، ولكن الذنوب والخطايا التي يمارسها أبواه تصيبه بالفلج والنقص والشر الذي قد يحدث للطفل.

فينبغي للأم في فترة الحمل أن تحافظ على نفسيتها، وأن لا ترتكب الأخطاء والذنوب وأن تواظب على القيام بالفرائض الدينية بعيدة عن الإهمال والوساوس الشيطانية، وأن تجد في قراءة الأدعية والزيارات، وأن يكون لسانها لهجاً بذكر الله حتى تبقى نفسية الطفل سالمة على الفطرة لضمان سعادته، فالطفل الذي يولد ناقص العضو، أو يكون عرضة للأمراض النفسية إنما يعتريه ذلك بفعل أبويه.

فإذا كانت حاملاً في دار يخيم عليها الخلاف والانحراف عن دين الله ويسودها الهم والغم الجاهليان، فقد تلد طفلاً ناقصاً أو عليه أعراض الأمراض النفسية.

آثار النية في تكوين شخصية الأبناء

إن النية الحسنة والتفكر في الخير في محضر الله سبحانه وتعالى يؤدي إلى استحصال الثواب والأجر.

أما التفكر في عمل الذنوب التي تبعث على العقوبة والعذاب الإنساني لا يحتسب عملاً يؤثم عليه الإنسان وهذا من ألطاف الله العظيمة، يعني أن الفرد مادام غير مرتكب للذنب، فلن يكون عرضة للعذاب الإلهي، ولكن التفكير في العمل السيئ يترك أثره الوضعي في قلب الإنسان.

لهذا، كان عيسى (ع) يوصي الحواريين ويقول: لقد كان أخي موسى (ع) يقول: "لا تزنوا"؛ وأنا اقول لكم أكثر من ذلك أن: لا تفكروا بالزنا بتاتاً، لأن التفكير فيه يسود القلب.

صحيح، أن التفكير في الذنب لا يحتسب ذنباً، ولكنه يقيناً يترك أثراً سيئاً على قلب الجنين ونفسه.

شقاوة الحجاج

لقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي رجلاً يفتقد النجابة، ويمكن القول إنه اختطف الشقاوة من كل الأشقياء بل فاق عليهم.

وعلى حد اعترافه فقد قتل على أيام حكومته عشرين ألفاً من الشيعة لمحبتهم لأهل البيت (ع).

كان السجن على زمانه بلا سقف، أي تحت حرارة الشمس المحرقة، وقسوة الزمهرير وغذاء سجنائه قرصان من الخبز مخلوطان بالتراب، حتى يموتوا واحداً بعد آخر في أيام سجنهم الأولى.

لقد كان هذا الشقي الوضيع يقول: إن من دواعي سروري أن أرى شيعة أمير المؤمنين (ع) يسبحون في دمائهم.

ولذا كان يعطي الأوامر لجلاديه ويقول: إذا حضر طعامي، فاضربوا عنق أحد الشيعة فيكون تناول طعامه مقروناً بسباحة أحد الشيعة في دمه.

كل هذه الشقاوة هي حاصل مشاركة الشيطان في انعقاد نطفة هذا البليد.

بهذا الشكل جاءت روايات عن الإمام السجاد (ع)، والإمام الصادق (ع) أنهما قالا: إن شقاوة وقساوة الحجاج كانت بسبب مشاركة الشيطان في نطفته.

ولو طالعانا التاريخ، وبحثنا في فصوله لرأينا أن أم الحجاج كانت امرأة سوء.

أثر النية في انعقاد النطفة

لقد نقلت رواية عن حياة "الشيخ الأنصاري" رحمه الله يقال فيها: إن أمه وفي فترة الحمل لم تتغافل يوماً عن استمرار طهارتها، وفي السنين الأول من حياة الشيخ الأنصاري لم ترضعه أمه لبناً إلا وهي على وضوء.

لاشك أن التفكر وعقد النية في الأعمال الصالحة والتفكير في ثوابها حال انعقاد النطفة له من الآثار الطيبة والمعنوية والنفسية على مستقبل الأبناء ما هو ثابت بالتجربة.

وعلى العكس من ذلك فإن تلوث الأفكار بالخطايا والذنوب له آثاره السيئة على الأبناء أيضاً.

في أيام الحمل والرضاعة على الأمهات الطيبات أن يكن طاهرات غير ناقضات للوضوء، وأن يكن وأزواجهن ممن يغضون أبصارهم عما حرم الله، لأنه بذور الشقاوة التي ستنمو ــ لا سمح الله ــ في نفوس الأبناء.

وإذا أردتم أبناء سالمين وطاهرين، فعليكم أن تكونوا لهجين بذكر الله ساعة انعقاد نطفكم.

غرائز الأطفال الرضيع

منذ اليوم الأول للولادة استعدادات الإنسان بالقوة وجهاً لوجه مع الأفعال، والبعض الآخر كذلك تضعه بالقوة على عدم التحرك؛ فعلى سبيل المثال منذ الساعات الأولى للولادة يصل استعداد الأكل إلى أوجه عند الطفل إلى درجة الفعل "أي ممارسة التغذي" ويبدأ بالرضاعة من لبن أمه حتى الشبع.

فالبحث عن الحقيقة موجود في الإنسان بالقوة، ويتحول إلى الفعل والممارسة العملية على مرور الزمان.

ويستفاد من الحديث "اطلب العلم من المهد إلى اللحد" أن بداية التربية وتعلم الطفل تكون ملازمة لبداية الولادة.

حكاية

في حكاية جرت وقت الحرب العالمية الثانية في أثناء احتلال الألمان لفرنسا، فقد كانت هناك امرأة تحتاج إلى جراحة في رأسها، وفي أثناء العملية الجراحية أصاب مبضع الجراح شريان في دماغها. وإذا سيطر عليها المخدر أخذت تقرأ النشيد الألماني.

فلما اصاب المبضع ذلك الشريان من دماغها سكتت عن قراءة النشيد.

وللمرة الثانية ضرب الجراح هذا الشريان بمبضعه فعادت لقراءة النشيد الألماني.

فتحير الأطباء من هذا الأمر، وبعد ذهاب تأثير المخدر منها ازداد تعجب الأطباء من عدم معرفتها باللغة الألمانية وعدم قدرتها على ذلك أبداً.

وللتحقق من هذه الظاهرة ودوافعها، اجتمع عدد من الأطباء وعلماء النفس للتحقيق في هذا الأمر، وبعد المطالعات الكثيرة والمضنية، توصلوا على أن هذه المرأة وعندما كانت طفلة وحين هجوم الجيش الألماني على المنزل الذي كانت تعيش فيه، كان الجنود أثناء الهجوم يرددون النشيد الألماني، فأثر النشيد في دماغها، وترك أثره على شريان الذهن ليبقى ذكرى خالدة.

هذه الواقعة قابلة للتصديق من منظار روائي، لما جاء في أخبار أهل البيت (ع) أن: اقرأوا الآذان، وأقيموا في أذني الطفل بعد الولادة ودخوله ساحة الحياة الدنيا.

وكذلك، وبناءً على ما ذكرنا "لا ينبغي للزوجة وزوجها أن يتقاربا أو يتداعبا وهما في معرض نظر طفل رضيع، وإذا ما فعلا ذلك بحضور طفلهما وآل مآله في الكبر إلى مواطئ الزنا، فلا يلوما إلا نفسيهما وأن يتحملا لوحدهما نتيجة عملهما هذا.

هذه القوانين الإسلامية هي دليل على تأثر وتقبل ذهنية الأطفال.

إن تربية الطفل تقسم على ثلاثة أقسام على مدار حياته:

١ ــ من الولادة حتى سن السابعة.

٢ ــ من السابعة حتى سن الرابعة عشرة.

٣ ــ من الرابعة عشر إلى حد الزواج.

قوانين التربية الإسلامية

لو ربى الوالدان الطفل تربية لائقة وصحيحة مستندين إلى قوانين التربية الإسلامية منتهلين من علومه الجمة، لتمكنوا من تجاوز الكثير من النقص الناشئ عن الوراثة وطعام الشبهة وما إلى ذلك. فالتربية الإسلامية الصحيحة قد ترفع الإنسان إلى مواضع راقية حتى لو كان محيطه فاسداً، ورفيقه سيئاً، ومعلمه غير متدين، فهي عامل أساسي في النجاة من الانحراف. على الوالدين أن يتعلموا أصول التربية في الإسلام على وفق مراحل العمل المختلفة.

البحث عن الحقيقة

قبل البدء في هذا، كنا قد ذكرنا أن أول غريزة للطفل تأتي بعد الولادة هي الإحساس بالجوع والشبع؛ البحث عن الحقيقة والتعلم أيضاً من الغرائز الأولى التي تصل إلى حد الأفعال بعد غرائز الإحساس، علاوة على بروز غرائز أخرى إجبارية على طول زمان نمو الطفل.

وعمل الوالدين هنا تشخيص وتقويم هذه الغرائز في كل مرحلة من مراحل نمو الطفل، وترتيبها لأن تكون تحت نظارة التعاليم الإلهية والتربية الإسلامية الصحيحة.

إن أحد مصاديق التربية الصحيحة لتوجيه الغرائز هو أن نخطو خطوة في موقع معين وطبيعي وفطري لوصول هذه الغرائز إلى مرحلة الفعلية، مع الامتناع عن ممارسة الأمور التي تبعث على الإثارة غير الطبيعية للغرائز؛ فعلى سبيل المثال يستحسن عدم الاشارة للشهوات الجسمية لا من بعيد ولا من قريب قبل وصول الأطفال إلى سن البلوغ، وعدم إثارة مواضيع وعدم عرض صور أو أفلام مثيرة على الأطفال. لأن الإثارة قبل سن البلوغ تعجل التوتر الشهوي لديهم. وهذا الأمر يوجب قتل بعض الاستعدادات عند الطفل، ويضر بذهنيته وحافظته، ناهيك عن موت كثير من القيم الإنسانية والمعنوية.

وقد دعا علماء النفس إلى ألا تنضج غرائز الأطفال قبل سن البلوغ، وأن تعدل هذه الغرائز وتوجه الوجهة الصحيحة في أثناء تبرعمها.

ولذا كان من اللازم حفظ نشاط الطفل وسروره دائماً كي لا تموت غرائزه أو تنحرف إلى المسار الخاطئ.

الغريزة الدينية

من جملة الغرائز المهمة جداً في بداية حياة الرضيع وإلى مرحلة الطفولة التي نجدر بأن ننتبه إليها هي الغريزة "الدينية".

واليوم يسلم الجميع بأن للإنسان غريزة باسم "الدينية" وهي غريزة فطرية، وقد صرح القرآن الكريم بفطرية هذه الغريزة.

لذا، كان على الوالدين أن يعلّما أولادهما ومنذ البداية على الصلاة تشويقاً وترغيباً، متلطفين بالتعليم مظهرين محبتهم ومودتهم لأبنائهم في التعليم ليصل الطفل إلى مرحلة "الطبيعية" في القيام للصلاة غير مكره.

حكاية

لقد كان أحد الأطباء دائم التوهين لمقدسات الإسلام مستخدما الكلام الجارح اللاذع مع كل من كان ملتزماً بالدين الإسلامي الحنيف، على الرغم من أنه كان يعيش في محيط إسلامي كبير، وتربى في جو إسلامي.

وبعد التحقيق التفتنا إلى أن مرض هذا الطبيب جاء من الشدة التي مارسها أبوه المسلم بحقه.

يقول: يأتي أبي كل صباح حاملاً بيده عصاً ويقف على رأسي وأنا نائم غرضه إيقاظي لصلاة الصبح. وإذا ما صادف أن تأخرت لحظة عن القيام من الفراش بدأ بالضرب على رأسي ووجهي وبدني.

فكون هذا الطبيب عرضة للمعاملة غير الصحيحة التي لا تنتمي إلى الإسلام في شيء، جعله أسيراً للعقد النفسية. مما بعث على توهينه في الكبر للإسلام ومقدسات الدين حتى ساء نظره إلى كل شيء يصطبغ بصبغة الدين مما أوصله إلى كل هذه الوقاحة على الدين.

الطريقة المثلى في تربية الغرائز

مادامت الغريزة الدينية أو المذهبية تبدأ منذ الطفولة فيجب أن لا نحمل الناس عليها حملاً بعيداً عن لطف الإسلام، فلا يجبر طفل ضعيف له من العمر عشر سنوات على الصيام ثلاثين يوماً في جو حار.

فهذا لا يمت بصلة إلى تنمية الغريزة الدينية بشيء، بل يمكن استخدام طرق التشويق، والترغيب والتلطف في التربية؛ وتنمية غرائزه وهدايتها بالإحسان والتودد إليه.

ومن أجل هذا الأمر يحبذ تشجيعه على صيام ساعاتي، وهو على ما عرف بفائدته ومناسبته للأطفال يسير بهم قدماً على طريق هذه العبادة وتنمية الشعور الديني وتحكيمه في نفوسهم.

كذلك يمكن تنمية سائر الغرائز بإهداء النقود، والاحترام لشخص الطفل، وإذا تحدث مثلاً عن أحد الغائبين لا يلزم توبيخه؛ بل نتلطف إليه بعرض مساوئ الغيبة، فنمنعهُ بذلك من أن يكون مغتاباً.

آثار التلطف والعطف في التربية

(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرط لظلم عظيم) سورة لقمان، الآية: ١٣.

يعتقد بعض المفسرين أن "وهو يعظه" قيدت بحسب الظاهر إضافة، ولكن الآية الشريفة جاءت بصدد بيان أن "لقمان" في مقام الموعظة استخدم "التلطف" و"التودد" في إسدائه للموعظة.

أي أننا إذا تلطفنا في تعليم أبنائنا وتهذيب غرائزهم، فاستعنا بالإحسان إليهم والعطف عليهم، ودعوناهم إلى الخير ونهيناهم عن الشر بالحكمة والموعظة الحسنة حصلنا على أبناء مسلمين ومفيدين في المجتمع.

وبخلاف هذا، سيكون الأبناء معقدين ومتكبرين وظلمة معاندين.

والسبب في ذلك تقصيرنا نحن في تربيتهم إذ لم نر في تهذيبهم سوى نفوسنا المتعالية الغضبى لأتفه الأسباب، فنزجرهم ونهينهم بدعوى أنهم أطفال أو أنهم لا يعرفون الكرامة حتى يكرموا.

ولو نظرنا إليهم كما ننظر لأنفسنا، واحترمناهم كما نطمح أن يحترمونا، لصفت أذهانهم وزكت نفوسهم واستقاموا، فسعدوا وسعدنا بهم.

تذكير

فعلى الإخوة المؤمنين المجاهدين أن يعطوا أهمية كبرى لتربية الأسرة والأطفال مثلما يعطون لمواجهة العدو والأعمال الاجتماعية الأخرى.

وإذا كانت مسألة الجهاد والدفاع عن الإسلام على راس كل الأمور، فيجب أن تنبض قلوبنا أيضاً لتربية أبنائنا تربية صحيحة، وأن نفكر بجد في تربيتهم لنخرج من عهدة هذه المسؤولية بلياقة كامة.

مطالعة في آثار التربية لابن يزيد

أنتم تعلمون أن "يزيد بن معاوية" حكم ثلاث سنوات، وفي السنة الأولى قتل سيد الشهداء (ع)، وفي السنة الثانية أباح المدينة المنورة وقتل من الناس قتلاً سالت منه الدماء في الشوارع وفي السنة الثالثة أضرم النار في بيت الله الحرام.

بعد وصول يزيد الدرك الأسفل من النار، اجتمع الجهال حول ابنه قائلين له: يجب أن تكون خليفة أبيك، فقبل منهم وسار إلى المسجد فرأى الناس مجتمعين فيه احتفالاً بخلافته وبينهم كبار القوم، الشيوخ والرؤساء والأشراف، والناس ينتظرون أن يسمعوا حديث الخليفة الجديد مفعماً بالفخر لكنه قال:

الامتناع عن قبول الخلافة

بعد أن حمد الله وأثنى عليه، أيها الناس: امتحننا الله بكم وامتحنكم بنا... أنا "معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان" جاءكم شخص ينازع في أمر الخلافة شخصاً آخر هو لرسول الله أقرب، وكان لائقاً بالإسلام مثالاً له، وهو أول مؤمن به، ابن عم الرسول، وأب لأبناء خاتم الأنبياء (ص)، في وقت وثب أبي على الحكومة على الرغم من أنه لا يؤمل منه الخير، وجلس على مركب الأهواء صارفاً وقته في الذنوب ويراها أعمالاً حسنة.

ثم قال: من غير العافية علي شيء أن قتلهم كان سيئاً ومرجعهم سيكون لائقاً وجديراً، نحن نعلم من هو "يزيد". إنه قاتل آل الرسول ومنتهك حرمتهم ومحرق الكعبة.

لست أنا الذي يتعهدكم، ولن أتحمل عظيم المسؤولية فيكم، اعلموا أن الخلافة في هذا الوقت محصورة بإمام الحق "علي بن الحسين" (ع) في المدينة.

واعترضت أمه (أم معاوية بن يزيد) في المجلس قائلة: ليتك كنت مضغة دامية لم تطل على الدنيا لأراك على هذه الحال.

فأجابها قائلاً، نعم، أماه تمنيت لو كنت مضغة دامية ولم أر الدنيا بعيني لأكون ابناً لأب مثل يزيد.

ونزل من على المنبر وانزوى في بيته معتزلاً، وتحمل من الهم والغم ما أوصله أن يموت وعمره ثلاث وعشرون سنة.

أثر المعلم الصالح

حقق الباحثون كثيراً ليروا كيف ولد ليزيد ولد كهذا، وحين غاصوا في الأعماق عثروا على السبب، فقد كان معلمه صالحاً رباه تربية إسلامية صحيحة، وأخرجه من مسير أسرته المظلم مسير الضلال والضياع والشقاء إلى طريق الهداية والصواب.

وهذا شاهد على أثر التربية الصحيحة في إبطال مفاعيل النطفة الحرام، الغذاء الحرام، المحيط الفاسد، والأب والأم الفريقين في السيئات والخطأ.

العمل بالحلول الوسط في تنمية الغرائز

مما يهذب الإنسان ويرقى به فعلاً وقولاً استحسان ما يأتي به من الخير، وتنبيهه على ما يرتكبه من الشر بلطف يدله على وجه الصواب، ويكشف له عن قبح الخطأ دونما منّ ولا أذى.

ولكن يجب ألا نبالغ في الثناء عليه، ولا في لومه أو توبيخه، فالإفراط والتفريط كلاهما سيئان، ويؤديان إلى عواقب وخيمة في ميدان التربية.

والقصد من هذا الحديث هو: أن تدليل الطفل يخلق عنده حالة من التكبر وحب الذات، فيجب ألا نفرط في غض النظر عن أخطائه، وإنما علينا أن ننبهه على بعضها، ونسكت عن بعضها حتى لا يختلط عنده الخطأ بالصواب، ويستولي عليه العجب بنفسه والرضا عنها وذلك ما يحدوه على الغطرسة والغرور القاتلين.

فالتلطف في الإرشاد، والوضوح في المراد، ووضع الشيء في موضعه فعلاً وقولاً تصنع رجلاً سليماً بصيراً.

والتشدد والقمع والازدراء تصنع ولداً ضاراً ذليلاً خادعاً جباناً عاجزاً عن بلوغ المكارم مبادراً إلى الدنايا.

وأفضل تربية هي تلك التي يطلق عليها التربية العملية، وهي التي تراعي الأصول الإسلامية والإنسانية، فيحترم رب الأسرة من هم في عهدته، ويريهم استقامته فيما يفعل ويقول من غير استعلاء عليهم ولا استهانة بهم، فيقيم صلاته في وقتها بكل اطمئنان، تاركاً المزاح والحديث اللاغي، لا يغتاب أحداً، ولا يفتري على أحد يدعو إلى الخير وينهى عن الشر بالحكمة والموعظة الحسنة.

وعلى هذا سيكون الأبناء صاغين له مبتهجين بما يدلهم عليه مسارعين إليه يفعلونه على بصيرة من أمرهم. ولاشك في نجاح هذا الأسلوب في إقامة أسرة إسلامية جديرة بهذا الاسم النبيل.

الهوامش:

(١) بحار الأنوار، ج٤٣.
(٢) مكارم الأخلاق، ص٨٦.
(٣) سفينة البحار: ج٢، ص٣٧٣.
(٤) سفينة البحار: ج١، ص٧٠٩.
(٥) نور الدين كيانوري زعيم الحزب المنحل والمرتبط "تودة"، حفيد الشهيد فضل الله نوري والذي كان دائماً يبيح لنفسه ضرب والده.